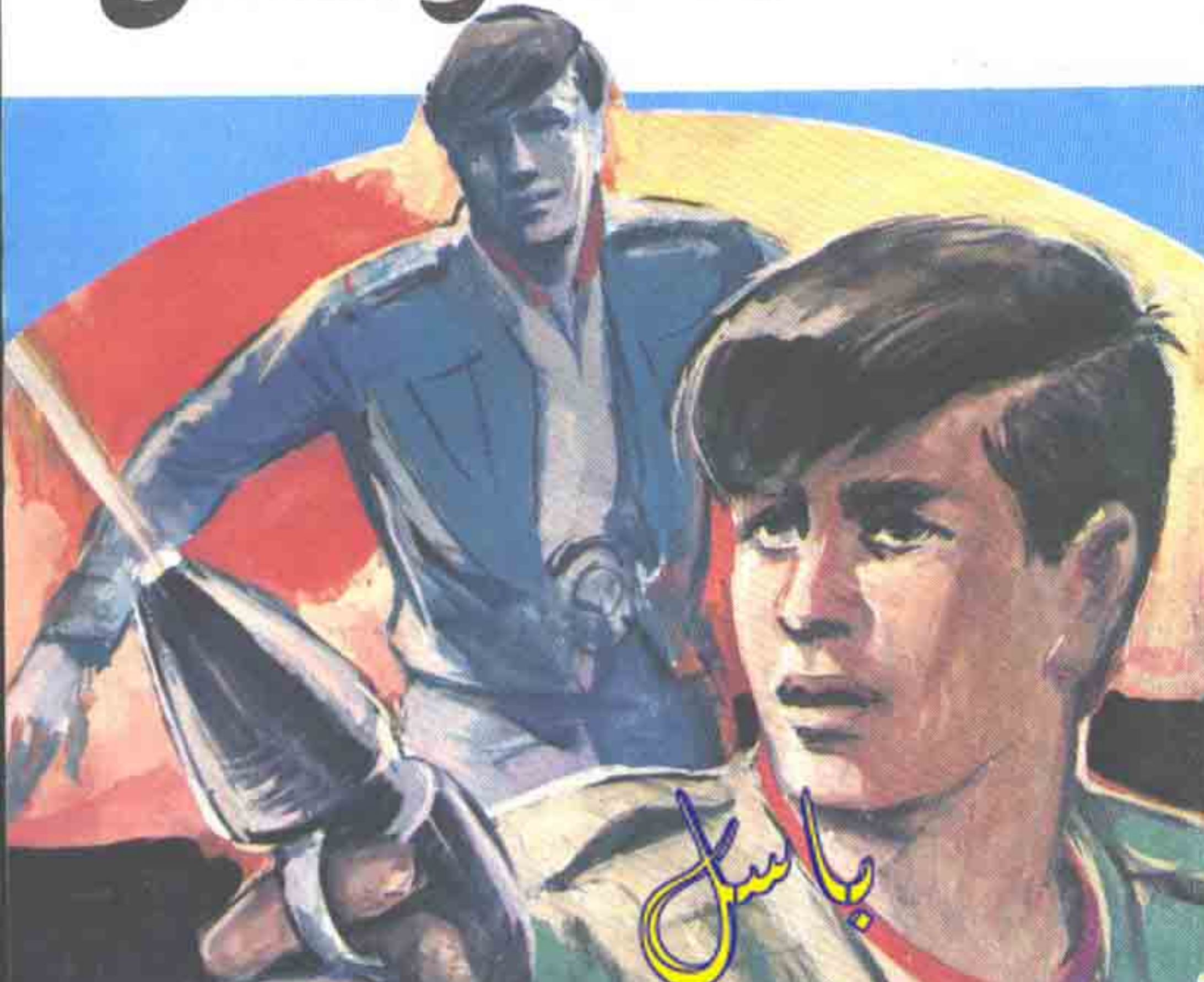




العدو والخفى



بأسفل

www.helmelarab.net

المؤلف



د. نبيل فاروق

العدو والخفى

- ما سر ذلك البديل الشيطاني الذي أوقع به (نور) في هذا الفخ الجهنمي؟
- كيف يمكن أن يتحوّل الصراع إلى (نور) ضدّ (نور)؟
- تُرى لمن يكون النصر في النهاية؟.. لـ (نور) وفريقه، أم لـ (العدو الخفى)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ واشترك مع (نور) في حلّ اللغز.

٥٢



الثمن في مصر

وما يعادل دولارا
أمريكا في سائر
الدول العربية
والعالم

العدد القادم: أمطار الموت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٢٥٥ - القاهرة - ٩٠٨٢٥٥

١ - التحقيق ..

ساد الصمت والسكون تمامًا ، في ردهات مبنى إدارة
التحريات العلمية المصرية ، في ذلك الصباح الدافئ ، من ربيع
عام ألفين وثمانية ، وبدت ممرات المبنى خالية ، إلا من أجهزة
الفحص الأمني والمراقبة ، وشمل السكون الطوابق الأربعة ،
التي تختفي تحت مستوى الأرض ، حتى بدا وكأن إدارة
التحريات العلمية قد خلت من العاملين بها ..

أما في حجرات المبنى ، فقد كان الأمر يختلف ..
كان هناك نشاط عجيب مثير للدهشة والإعجاب ، تموج
به الحجرات والقاعات ، تحول الجدران العازلة للصوت بينه
وبين التسلل إلى الممرات والردهات ..

وفي الطابق الذي يطلقون عليه اسم (الرابع سلبى) ، والذي
يقع على عمق ستة عشر مترًا في باطن الأرض ، جلس حارس
أمن المبنى (عادل) ، فوق مقعد غير تقليدي ، معد بحيث يحتوى
الجالس فوق تمامًا ، وهو مزود بأجهزة فائقة الدقة والحساسية ،
تسجل وتنقل كل انفعالات الجالس ، وكل التغيرات - مهما
بلغت ضآلتها - في نبضه ، وضغط دمه ، ومعدل إفراز العرق
من جسده ، وحتى ارتجافات سطح جلده الخارجي ..



سلوى



نور الدين



محمود



رمزى

كان باختصار أحدث جهاز لكشف الكذب ..
وكانت الحجرة هي حجرة التحقيقات في إدارة المخابرات
العلمية ..

وكان (عادل) يجلس على المقعد صامتًا ، مترقبًا ، وهو
يعلم أن عدسة خاصة تنقل صورة وجهه ، مكبرة عشرات
المرات ، إلى الحجرة الجانبية ، حيث يجلس طاقم التحقيقات ،
ليلقى عليه أسئلته ، ويراقب انفعالات وجهه في اهتمام
وإمعان ..

وفجأة انبعث صوت قوى عميق ، غبر العشرات من
أجهزة نقل الأصوات ، في جميع أنحاء الحجرة ، يقول في
صرامة :

— اسمك ومهنتك ؟

ازدرد (عادل) لعابه ، وأجاب في هدوء :

— (عادل عبد المجيد) ، أحمل رتبة رقيب أول ، وكنت
أعمل كرجل أمن للمبنى ، حتى أمس الأول .

— ماذا تعرف عن حادث سرقة أسطوانات الكمبيوتر
السرية ؟

— كنت قد تسلّمت نوبة حراسة ، أمس الأول ، عندما

وصل إلى المبنى الرائد (نور الدين محمود) ، فقامت بالتأكد
من شخصيته ، بواسطة أجهزة الفحص الأمني الإلكتروني ،
ولمّا جاءت نتيجة الفحص إيجابية ، سمحت له بالدخول ، وبعد
ساعة تقريبًا غادر المبنى ، وبينما كنت أودّعه ، لمحت واحدة من
تلك الأسطوانات السرية تبرز من جيب سترته ، فأردت تنبيهه
إلى أن خروج تلك الأسطوانات من المبنى ممنوع تمامًا ، إلا أنه
هدّدى بمسدّسه الليزرى ، فما كان منى إلا أن حاولت الدفاع
عن نفسي ، فأصابني بطلقة ليزر في كتفي ، ولاذ بالفرار في
سيارة صاروخية ، كانت تنتظره على مقربة من المبنى (*) .

— منذ متى وأنت تعمل في حراسة المبنى ؟

— منذ خمس سنوات تقريبًا .

— هل سبق أن أخطأت أجهزة الفحص الأمني ؟

— لا ..

— هذا يكفي .

غادر (عادل) مقعد كشف الكذب ، وأسرع الخطأ
مغادرًا الحجرة ، وهو يشعر بالارتياح ؛ لأن استجوابه قد

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول (الخلية القاتلة) ..
المغامرة رقم (٥١) .

انتهى ، فعل الرغم من أنه لم يكن هناك ما يدينه في الأمر ، إلا
أن مجرد وجوده في حجرة التحقيقات كان يورثه العصبية
والقلق ..

ولم يكذ (عادل) يغلّق باب الحجرة خلفه ، حتى دخلت
إليها (سلوى) من باب جانبي ، واستقرّت بدورها فوق
المقعد ، حيث ارتفع صوت المحقق ، وهو يقول :
— اسمك ومهنتك ؟

— (سلوى) .. مهندسة ، وخبيرة في الاتصالات
والتبّع ، وعضوة في فريق المخابرات العلمية ، الذى يرأسه
زوجى (نور) ، المتهم (ظلماً) بالخيانة .

— ماذا تعلمين عن حادث سرقة الأسطوانات السريّة ؟
— لست أعلم إلا ما ذكرتموه .

— هل غادر زوجك (نور) المنزل وحده ، فى الموعد
الذى ارتكبت فيه حادثة السرقة ؟

— نعم .. ولكنه لم ...

— أين ذهب حينذاك ؟

— إلى مكتب البريد الآلى ..

— هل يمكنك إثبات ذلك ؟

— لا بالطبع .. لقد ذهب وحده .. ولكن ..
— هل تعلمين أين ولماذا اختفى والد (نور) ، على الرغم
من ضرورة حضوره للإدلاء بشهادته ؟
— لا ، ولكننى أظن أنه قد ذهب إلى مستشفى (أسيوط)
العام .

— لماذا ؟

— قبل حادث سرقة الأسطوانات السريّة بأسبوعين ، وفى
أثناء عودتى مع زوجى (نور) من عرض مسرحى فى معبد
(الكرنك) ، اعترضت طريق سيارتنا الصاروخية فجأة فتاة
مجهولة ، وعندما حاول (نور) تفاديها ، وقع لسيارتنا
حادث ، كاد (نور) يلقى مصرعه بسببه ، لولا أن أنقذه
جراح وعالم مصرى ، يعمل فى مستشفى (أسيوط) العام ،
ويدعى الدكتور (منصور) ، أجرى لزوجى جراحة
ميكروسكوبية عاجلة فى مستشفى (أسيوط) .

— وما علاقة ذلك باختفاء والد (نور) ؟

— إن والد (نور) يمتلك نفس موهبة ابنه فى الاستنتاج
والفراسة ، أو أن (نور) قد ورث موهبته عن أبيه .. المهم
أن والد (نور) قد استنتج أن الحادث كان محاولة متعمّدة

للقتل ، نظرًا لوصول الدكتور (منصور) بعد لحظات من الحادث ، واختفاء الفتاة ، ولقد قام بعملية بحث بارعة ، أثبت خلالها أن الفتاة لم تكن سوى صورة هولوغرافية مجسمة ، تم بثها عبر خلية ليزرية خاصة ، واعتقد أنه قد شك في أن تكون للدكتور (منصور) علاقة بما حدث بعد ذلك ، من اتهام (نور) بالخيانة ، فذهب إليه ، وهناك اختفى .

— هل يوجد دليل على ذلك ؟

— لا ..

— شكرًا .. هذا يكفي .

غادرت (سلوى) الحجرة ، حيث ولجها (محمود) ، وأخذ مكانه فوق مقعد كشف الكذب ، حيث ارتفع صوت المحقق يسأله ، بعد أن تحقق من اسمه ومهنته :

— أنتظن أن الرائد (نور) قد ارتكب حادثة السرقة أم لا ؟

— بالطبع لا ، فلقد عملت تحت قيادة (نور) طوال خمس سنوات ، وأستطيع أن أجزم بأنه أكثر من عرفت حبًا لوطنه ، وإخلاصًا له ، ورجل مثل هذا لا يخون أبدًا .

— ما تفسيرك لما حدث إذن ؟

— لقد وضع (نور) بعض الاحتمالات ، وهو يحاول تفسير



وأخذ مكانه فوق مقعد كشف الكذب ، حيث ارتفع صوت المحقق يسأله ، بعد أن تحقق من اسمه ومهنته

ذلك .. منها مثلاً أن شخصاً ما ينتحل شخصيته ، وأنه قد أبدل بطاقته الإلكترونية الخاصة ، من أرشيف أجهزة الفحص الأمني ببطاقة أخرى ، مكنته من الدخول إلى الإدارة .

— هل تعلم أن ذلك مستحيل ؟

— أعترف بأننا قد أجرينا محاولة للتأكد من ذلك — على الرغم من مخالفتها للقانون — ولكن المحاولة قد أسفرت عن أن ذلك لم يحدث .

— وما التفسيرات الأخرى ، التي وضعها (نور) ؟

— لقد تصوّر أن يكون الدكتور (منصور) قد زرع في مخه جهازاً خاصاً ، يجعله يفعل أى شيء دون أن يدري ، كما لو كان مجرد دُمّية إلكترونية .

— وهل تعتقد أن هذا صحيح ؟

— لا .. فلقد قمنا بفحص مخه بأشعة (رونتجن) ، بعد تكبير الصورة عشرات المرات ، دون أن نعثّر على أية أجهزة . — شكراً .. هذا يكفي .

جاء دُور (رمزي) هذه المرأة ، ليجلس على مقعد كشف الكذب ، ويدلى باسمه ومهنته ، ويحجب عن بعض الأسئلة التقليدية ، قبل أن يسأله المحقق :

— هل يمكن أن يرتكب الرائد (نور) حادث السرقة ، دون أن يدري أنه قد فعل ذلك ؟ ؟

— كخبير في الطب النفسي أجيب بنعم .

— ولماذا كخبير في الطب النفسي ؟

— لأن تحليلي لحالة (نور) هو أنه مصاب بانفصام الشخصية ، إثر ذلك الحادث الذي تعرّض له منذ أكثر من أسبوعين ، مما حوّله إلى شخصيتين متناقضتين في جسد واحد ، إحداهما هي (نور) الذي نعرفه ، والأخرى على نقيضها تماماً .

— هل لديك ما يثبت ذلك ؟

— تاريخ (نور) الحافل بالبطولات .

— فقط ؟

— هناك واقعة أخرى .. فقد تصوّر (نور) أن شخصاً ما قد هاجمه في معمل الدكتور (حجازي) ، حيث كان يختبئ ، وأن ذلك الشخص قد طعنه بِمُدْيَةٍ ، ثم ألقاها داخل المعمل ، بعد أن جرح نفسه أيضاً ، وطلب منا (نور) رفع البصمات عن المُدْيَةِ ، وتحليل دماء ذلك الشخص ، حتى يثبت براءته من الإصابة بانفصام الشخصية ، ولكنه قال في الوقت ذاته إن ذلك الشخص كان نسخة طبق الأصل منه هو .

— وكيف جاءت نتيجة رفع البصمات ، وتحليل الدم ؟

صمت (رمزي) إزاء هذا السؤال ، ونقل مقعد كشف الكذب توثره وتردده ، فعاد المحقق يسأله في صرامة :

— كيف جاءت النتيجة ؟

زفر (رمزي) في ضيق ، قبل أن يقول :

— لقد كانت البصمات لـ (نور) ، والدماء دماؤه . ثم أسرع يستدرك :

— ولكن للدكتور (حجازي) رأيا آخر .

جاء صوت المحقق صارما ، وهو يقول :

— وما تفسير ذلك في رأيك ؟

— لقد كنت أعتقد أن حالة انفصام الشخصية ، التي يعانيها

(نور) قد جعلته يتصور وجود عدو خفي ، يقاتله بوجهه

هو ، ولكن الدكتور (حجازي) ..

قاطع المحقق في صوت بارد كالثلج ، صارم كالفولاذ :

— شكرا .. هذا يكفي .

عقد (رمزي) حاجبيه في ضيق ، إلا أنه غادر مقعده ،

واتجه إلى خارج الحجرة ، دون أن يضيف حرفا

واحدا ، ودخل الدكتور (حجازي) ، من الباب الجانبي الآخر ، معقود الحاجبين ، واضح الصرامة والعناد ، واتخذ

مجلسه فوق المقعد في حركة حادة ، ولم يكد صوت المحقق

ينبعث ، ليسأله عن اسمه ومهنته ، حتى قال في خشونة :

— الدكتور (محمد حجازي محمد) .. كبير الأطباء

الشرعيين في جمهورية مصر العربية ، ولست أرغب في الإجابة

عن أسئلتكم اليوم .

— هل تعلم أنك متهم بإخفاء ضابط خائن و .. ؟

— ألق القبض علي ، أو دعني أغد لمواصلة عملي .

— البيانات الرسمية تقول إن جدول أعمالك خال اليوم .

— إنها أعمال خاصة .

— وهل تمنعك تلك الأعمال الخاصة من الإجابة عن

الأسئلة ؟

— نعم ..

— لماذا ؟

— لأنني أعمل لإثبات براءة (نور) .

— هل تؤمن بذلك حقا ؟

— تمام الإيمان .

٢ - البحث عن أول الخيط ..

« لم ينطق أحدهم بغير الصدق يا سيدي » .
نقل جهاز التليفيديو ، إلى مكتب القائد العام للمخابرات
العلمية المصرية ، صورة وصوت المحقق ، وهو ينطق هذه
العبارة ، فعقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :
- ولكن أقوالهم تدين (نور) ، حتى ولو كان مصاباً
بانفصام الشخصية .
أجاب المحقق في هدوء :
- لو نجح الطبيب النفسي (رمزي) في إثبات ذلك ،
فسينخفض هذا من عقوبة الرائد (نور) ولاشك يا سيدي .
مطاً القائد الأعلى شفثيه في أسف ، وهو يقول :
- بالنسبة لشاب مثل (نور) فأية عقوبة تعنى الفناء
يا بُنى .
وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في اهتمام بالغ :
- وماذا عن الدكتور (محمد حجازي) ؟ .. لماذا رفض
الإدلاء بأقواله ؟
هز المحقق رأسه ، وقال :

ثم غادر المقعد بحركة حادة ، واتجه نحو باب الحجرة ، وهو
يقول في خنق :

- وسأطالبكم جميعاً بالاعتذار لـ (نور) ، على شاشات
صحف القيديو ، حينما أثبت أنه بريء .. هل تسمعون ؟ ..
إن (نور) بريء .
وأغلق الباب خلفه في قوّة ..



— لا أحد يدري يا سيدي ، ولكنه متهم بإخفاء هارب
من العدالة ، وسنراقب منزله ومعمله الخاص ، و ..
قاطعته القائد الأعلى :

— لا .. لا تفعل بالله عليك .

ارتسمت الدهشة على وجه المحقق ، في حين استطرد القائد
الأعلى في حزن :

— لقد قررت أجهزة الفحص أن الدكتور (حجازي)
كان غاضبًا ، ولكنه لم يكن مضطربًا أو خائفًا ، وهذا يعني
أنه — مادام قد رفض الإدلاء بأقواله — فهو يملك ما قد يمكنه
من إثبات براءة (نور) ، ولا ينبغي أن نعوقه عن ذلك .
هتف المحقق في استنكار :

— براءة الرائد (نور) ؟ .. مستحيل يا سيدي ! كل
الأدلة والبراهين تؤكد أنه ..

قاطعته القائد الأعلى في صرامة :

— الأمر لم ينته بعد أيها المحقق .. ولو أن الأمور قد اتخذت
نفس المنهج ، الذي تتخذه في كل عملية تخص الرائد
(نور الدين) ، فثق أن النهاية ستحمل لنا مفاجأة .

واكتسب صوته ثقة شديدة ، وهو يُردف في حزم :
— مفاجأة مذهلة ..

★ ★ ★

اجتمع أفراد فريق (نور) ، بلا قائدهم ، في معمل
الدكتور (حجازي) الخاص ، يراقبونه وهو ينهمك في إجراء
بعض الفحوص والتحليل في اهتمام بالغ ، قبل أن تسأله
(سلوى) في توثر :

— عمّ تبحث بالضبط يا دكتور (حجازي) ؟

أجابها الدكتور (حجازي) ، وهو يواصل فحوصه :

— بعد أن اصطحب رجال المخابرات العلمية (نور) من

هنا ، عثرنا — أنا و (رمزي) — على كومة من الضمادات ،

في ركن من المعمل ، توحي بأنها كانت تخفى وجه شخص ما

يا (سلوى) ، ولمّا لم يكن (نور) يحمل هذه الضمادات ،

حينما أتى إلى هنا ، ولمّا كنت واثقًا من أنها لا تنتمي إلى معمل

بأى حال من الأحوال ، فقد وجدت نفسي أميل إلى تصديق

قصة (نور) ، عن ذلك الشخص الذي يشبه تمامًا ، والذي

هاجمه هنا ، وهذا يعني أن ذلك العدو الخفي ، قد نجح بوسيلة

ما في خداعنا جميعًا ، وإقناعنا بأن (نور) يعاني انفصامًا في شخصيته ، حتى نكون وسيلة من وسائله ؛ لإثبات إدانة (نور) بتهمة الخيانة .

هتفت (سلوى) في أمل :

— وهل تفحص الأربطة ؟

رفع عينيه عن مجهر الفحص ، والتفت إليها قائلاً في هدوء :

— بل أفحص الأتربة التي تحيط بمسكني يا بنيتي .

ارتسمت الدهشة في عينيها ، على حين أسرع (محمود) يسأله :

— وجم يفيد ذلك يا سيدي ؟

عقد الدكتور (حجازي) حاجبيه ، وهو يقول :

— لو تعمقت في دراسة الأمر ، مثلما أفعل أنا منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، لعلمت أن الأتربة تختلف من مكان إلى مكان آخر يا ولدي ، فهي تتأثر بالبيئة المحيطة بها ، وهذا يعني أن الأتربة في المناطق السياحية ، تختلف عنها في المناطق الجبلية ، وأيضًا عنها في المدن ، أو المناطق الزراعية ، ولما كان كل من

ولج معمل ، ومسكني في الأيام الأخيرة من سكّان المدن ، فمن الضرورة أن تنتمي كل الأتربة لنوع أتربة المدن ، أمّا لو .. قاطعه (رمزي) في توثر :

— لا ريب أنك لا تدرك خطورة ما تفعله يا سيدي ، فالأمل الوحيد في نجاة (نور) من حكم الإعدام بتهمة الخيانة ، هو إثبات أنه مصاب بانفصام شخصية كامل ، أمّا لو أثبتنا العكس ، فسيعني هذا اعدامه .

أجابه الدكتور (حجازي) في صرامة :

— إنني لا أسعى خلف هذا أو ذاك يا (رمزي) .. إن هدي الوحيد هو تبرئة (نور) .. تبرئته تمامًا ..

حدّق والد (نور) طويلاً في وجه ذلك الشاب ، الذي هو نسخة طبق الأصل من ولده (نور) ، والذي جلس على مقربة منه ، يتسم في ثقة وغرور ، ثم نقل بصره إلى الطبيب الشاب ، مساعد الدكتور (منصور) ، واختنقت الكلمات ، وتلعثمت في حلقه ، قبل أن يهتف في مزيج من الدهول والاستنكار :

— ولكن ما تقوله مستحيل !! إن عقلى يرفض تصديقه !
ابتسم مساعد الدكتور (منصور) فى سخرية ، وهو
يقول :

— كل المنجزات العلمية بدت مستحيلة ، وخارقة
للمألوف ، حينما ظهرت للمرة الأولى أيها الرجل ، ولا تنس
أن الاستكثار نفسه قد واجه هندسة الوراثة ، حينما برزت
تجاربهم الأولى إلى الوجود ، ثم إن ما أخبرتك عنه ليس كشفًا
علميًا حديثًا .. إن العلماء يجرون تجاربهم عليه منذ عام ألف
وتسعمائة وثمانين ، ولكن الدكتور (منصور) وحده نجح فى
تحقيقه ، على النحو الذى يحلم به العلماء منذ ثمانية وعشرين
عامًا .

عاد والد (نور) يدير عينيه إلى شبيه ابنه ، ويحدّق فى
وجهه فى ذهول ، قبل أن يغمغم وقد بلغت خيرته ذروتها :
— مستحيل !! مستحيل !!

أطلق شبيه (نور) ضحكة ساخرة ، قبل أن يعيل نحو والد
هذا الأخير ، قائلاً فى تحدّ :

— هذا ما سيردّده الجميع أيها الوالد العزيز ، وأنا واثق
أن هذا ما ردّدوه ، حينما رفعوا البصمات عن مقبض المُلدية ،
وحلّلوا قطرات الدم ، فوجدوا أنها كلها لـ (نور) .

جاوبه مساعد الدكتور (منصور) بضحكة أخرى
ساخرة ، وهو يقول :

— ومن الطريف أن هذه هى الحقيقة بالفعل .

صاح والد (نور) فى غضب وسخط :

— أيها المجرمون .. إن يد العدالة ستنالكم حتمًا .

اتسعت ابتسامة شبيه (نور) الساخرة ، وهو يقول :

— كفى مكابرة أيها الوالد العزيز .. أنت تعلم مثلنا ، بعد

ما سمعته ، أن النهاية ستكون من نصيب ولدك الحبيب ..

صدّقنى .. لقد انتهى عهد الرائد (نور) ، وبدأ عهدي أنا .

★ ★ ★

زفر الدكتور (حجازى) زفرة ارتياح قويّة ، خفقت لها

قلوب أفراد الفريق ، وهتفت به (سلوى) فى انفعال شديد :

— هل عثرت على ما تبحث عنه يا سيّدى ؟

ضرب بقبضته سطح مائدة الفحص ، وهو يقول فى حزم :

— نعم يا بنيتى .. لقد زایلنى كلّ شك فى براءة (نور) .

وقبل أن يسأله أحدهم عن مبعث ثقته الشديدة ، أسرع

يستطرد فى حماس :

٣ — وبرقت عيناه ..

جلس الرائد (نور) في ركن زنزانه الخاصة ، في الطابق الأول من إدارة المختبرات العلمية صامتًا ، يفكر للمرّة الألف فيما أصابه ، ويحاول للمرّة الألف العثور على تفسير منطقي لكل ذلك ..

كانت كل الأدلة والبراهين تؤكد نظرية (رمزي) ، التي تدور حول إصابته بانفصام شخصية كامل ، ولقد مال هو نفسه لتصديق هذه النظرية ، والإيمان بها ، لولا أن جزءًا ما من عقله كان يرفض هذا التفسير في شدّة ، على الرغم من قوّته وتأكيده ..

كان هذا الجزء من عقله الذي يعانده ويقاومه دؤمًا ، كلّما واجهه لغز غامض ، ولم يكن هذا الجزء ليهدأ أو يستقر ، إلا حينما يعثر على التفسير الصحيح ، الذي يربط كل الأحداث بخيط واحد ، وإصراره على الأرق والعمل لا يعني لـ (نور) إلا أمرًا واحدًا ..

أن اللغز لم يحلّ بعُد ..

وتطلّع (نور) إلى أنحاء زنزانه في شرود ، وعقله مازال يفكر ويفكر ..

— لقد عثرت في معمل ، وحول منزلي ، على أثرية تعود إلى منطقة جبلية .. أثرية حديثة .. ولمّا كان نور قد غادر مستشفى (أسبوت) منذ أسبوع كامل ، فهذا يعني أن شخصًا ما ، يقيم في منطقة جبلية ، قد تسلل إلى معمل ، وهاجم (نور) بالفعل ..

شحب وجه (رمزي) ، وهو يهتف :

— يا إلهي !! .. هذا يعني ..

قاطعها الدكتور (حجازي) في صرامة :

— نعم يا (رمزي) .. هذا يعني أن (نور) برىء من تهمة الخيانة ، براءة الذئب من دم ابن (يعقوب) . هتفت (سلوى) ، وقد أورثها الانفعال ارتباكًا شديدًا :

— ولكن .. ولكن كيف ؟ .. أجهزة الفحص ، وتحليل الدم .. والبصمات و ..

قاطعها الدكتور (حجازي) في حزم :

— مهمتنا أن نثبت خطأ كل هذا يا (سلوى) . وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد في صرامة وقوّة :

— ولن يتخلى الفريق عن قائده أبدًا .. أبدًا .

كانت زنزانته من نوع خاص ، مزودة بثلاث كاميرات
هولوجرافية ، تتيح لقسم المراقبة متابعة كل سكناته وحركاته
طوال الوقت ، إلا حينما تزوره زوجته ، فالقانون يكفل له حرية
الحديث معها في أمور شخصية ، ويمنع مراقبة حديثهما ..
أما قضبان الزنزانة ، فلم تكن من الصلب أو الفولاذ ، وإنما
كانت عبارة عن خيوط شبكية متقاطعة من أشعة الليزر القاتلة ،
يستحيل اختراقها ، دون أن تمزق من يحاول ذلك إربا ..
كانت زنزانته حديثة ، من ذلك النوع الذي يستحيل
الفرار منه تمامًا ..

قطع شروده وتفكيره صوت الحارس الخاص لزنزانته ،
وهو يقول في صرامة :

— لقد أتت زوجتك لزيارتك .

رفع عينيه في لهفة ، ليتطلع إلى وجه زوجته (سلوى) ،
التي منحته بدورها نظرة تمتلئ باللهفة والحب ، قبل أن يقول
لها الحارس في صرامة :

— لديك ربع ساعة كاملة يا سيدتي .. سأغادر المكان
طوال الزيارة ، ولكن حذار .. فالقانون يقضى بإيقاف
المراقبة طيلة الزيارة ، ولكننا نقوم بتفتيش المكان في دقة
بعدها .

أجابته في برود :

— أعلم ذلك .. ولتعلم أنك تضيع بعض الدقائق الثمينة

من زيارتي لزوجي .

عقد الحارس حاجبيه في ضيق ، إلا أنه ضغط زرًا صغيرًا ،
مجاورًا للزنزانة ، فتوقفت على الفور خيوط الليزر ، وخطت
(سلوى) داخل الزنزانة ، وعادت خيوط الليزر تغلقها من
جديد ، ووقفت (سلوى) صامتة ساكنة ، حتى ابتعد
الحارس ، ثم ألقت بجسدها بين ذراعي زوجها ، وهي تهتف
في لوعة :

— كيف حالك يا (نور) ؟ .. كيف حالك يا زوجي
الحبيب ؟

ضمها (نور) إلى صدره في حنان ، ومسح على شعرها
في رفق ، وهو يغمغم :

— إنني أشعر بأنني في خير حال ، حينما أراك يا عزيزتي .

رفعت وجهها إليه ، وهي تهتف في لهفة :

— (نور) .. إنني أحمل لك أخبارًا طيبة .

ابتسم في حزن ، وهو يسألها :

— هل صدر قرار بالإفراج عني ؟

هتفت :

— لا يا (نور) ، ولكن الدكتور (حجازى) قد أثبت ،
بما لا يدع مجالاً للشك ، أن شخصاً ما قد هاجمك بالفعل في
معمله .

اتسعت عينا (نور) في دهشة وانفعال ، وأمسك كفى
زوجته في قوة ، وهو يهتف :

— يا إلهى !! .. إذن فأنا لست ..

قاطعه في سعادة ولهفة :

— نعم يا (نور) إنك لست مصاباً بانفصام الشخصية ..

إزداد اتساع عيني (نور) ، وهو يحدّق في وجهها ، ثم
تخلّى عن كفها ، وعقد جاجيه في شدة ، وهو يغمغم وكأنه
يحدّث نفسه :

— ولكن تحليل الدم وفحص البصمات وبطاقتي
الإليكترونية و ..

بتر عبارته ، ولاحت في ملامحه علامات التفكير العميق ،
وران الصمت تماماً على جوّ الزنزانة ، واحترمت (سلوى)
صمت (نور) ، فلاذت بالصمت بدورها ، وإن لم يمنعها هذا
من التطلع إليه في لهفة وأمل ، حتى رفع عينيه إليها ، يسألها
في اهتمام شديد ، وقد استعاد صوته قوّته وصلابته :

— هل أخبرك والدى بكل التفاصيل ، التي حدثت في
مكتب الدكتور (منصور) ، حينما ذهب ليسأله عن الحادث ؟
أرادت (سلوى) أن تخبره باختفاء والده ، إلا أنها رأت
أن الوقت والظروف لا يناسبان ذلك ، فأجابت في اقتضاب :

— نعم يا (نور) .

تألّقت الלהفة في عينيه ، وهو يقول :

— حسناً .. أريد منك أن تخبريني بكل التفاصيل

يا (سلوى) .. كلها .. حتى ما بدا منها تافها لا يستحق
الذكر .. كلها يا (سلوى) .

ارتسمت الدهشة في عينيها ووجهها ، إلا أنها أجابته في
اهتمام :

— حسناً يا (نور) .. سأخبرك .. سأخبرك بكل
التفاصيل .

★ ★ ★

بدا صوت (محمود) مفعماً بالانفعال واللهفة والقلق ،
وهو يسأل الدكتور (حجازى) :

— هل تظن أن (نور) سيتوصّل إلى شيء ما ، حينما
تخبره (سلوى) بما توصّلت إليه يادكتور (حجازى) ؟

قلب الدكتور (حجازى) كفيه ، وهو يقول فى خُفوت :
— لست أدرى يا ولدى ، ولكن هذا سيزيل من نفسه كل
التوتر والإحباط ، اللذين يشعر بهما ، وسيدفعان عقله للعمل
فى صورة هادئة ، وأنت تعلم مدى عبقرية (نور) فى مثل هذه
الأمور .

أوماً (محمود) برأسه موافقاً ، وهو يغمغم :
— نعم .. أعلم ذلك .

ساد الصمت لحظة ، ثم التفت الدكتور (حجازى) إلى
(رمزى) ، الذى انتحى ركنًا جانبيًا ، وبدأ مهمومًا حزينا ،
وسأله فى اشتياق :

— ماذا بك يا (رمزى) ؟

رفع إليه (رمزى) عينين يطلّ منهما حزن عميق ، وبدأ
صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

— هل سبق لك يومًا يا سيّدى ، أن شعرت أن خبرتك
ودراستك ، قد قادتاك إلى ارتكاب خطأ قاتل ؟

فهم الدكتور (حجازى) ما يعنيه (رمزى) ، فغمغم فى
تعاطف :

— كلنا نخطئ يا ولدى .. العِصْمَةُ لله — عزَّ وجلَّ —
وحده .

أطرق (رمزى) بوجهه ، وهو يقول فى حزن :
— ولكن الخطأ الذى ارتكبته أنا كان بشعًا يا سيّدى ..
لقد أدنت (نور) ، ووصمته بالخيانة ، وأنا أتصور نفسى
أحاول حمايته .

ران الصمت طويلًا فى الحجرة ، قبل أن يغمغم الدكتور
(حجازى) فى حنان ورفق :

— لا تقسُ على نفسك يا ولدى .. كلنا بشر ، المهم أن
نعمل كلنا الآن لإثبات براءة (نور) .
سأله (رمزى) فى مرارة :

— هل تظن ذلك ممكنًا يا سيّدى ؟

تنهّد الدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول فى هدوء :
— كل شيء ممكن يا ولدى .. كل شيء ممكن :

استمع (نور) إلى قصة (سلوى) فى اهتمام ، ثم عقد
حاجبيه ، وهو يغمغم :

— من العجيب أنكم قد أغفلم نقطة هامة يا (سلوى) ،
حينما قصصتم على القصة فى المرة الأولى !



بتر عبارته فجأة ، وبرقت عيناه على نحو مألوف ، جعل (سلوى)
تقفز من مقعدها

سألته في قلق وفضول :

— ما هي يا (نور) ؟

لوح بكفه ، وهو يقول :

— ذلك الصندوق الزجاجي ، الذي يحوى جروين
متطابقين تمامًا ، ألا تجدان تشابهًا بينهما ، وبين موقفى .

غمغمت في مزيج من الدهشة والخيرة :

— تشابهًا ؟

أجابها في اهتمام :

— نعم يا (سلوى) .. أنا أيضًا أواجه عدوًا خفيًا ،
يطابقنى في كل شيء ، كما لو كان ..

بتر عبارته فجأة ، وبرقت عيناه على نحو مألوف ، جعل
(سلوى) تقفز من مقعدها ، وهى تهتف في انفعال بلغ
ذروته :

— (نور) .. لقد توصلت إلى الحل ، أليس كذلك ؟ ..
لقد عثرت على دليل براءتك .

وبرقت عيناه (نور) ببريق العزم والثقة ، وهو يقول :

— بلى يا (سلوى) ، ولكن من المستحيل إثبات ذلك ،
ما لم ..

قاطعة في لهفة :

— ما لم ماذا ؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة غامضة ، وهو يجيب في

هدوء :

— ما لم يعاوننى الفريق كله على الفرار من هنا ..

★ ★ ★



٤ — خطة العصر ..

« الفرار ١٢ »

هتف الدكتور (حجازى) بهذه الكلمة ، في لهجة تحمل من الجزع والدهشة والاستكثار قدرًا كبيرًا ، قبل أن يستطرد في توثر :

— إن الفرار من هناك أقرب إلى المستحيل ، بل هو المستحيل نفسه ! .. فحتى لو نجح في الفرار من زنزائنه الإلكترونية ، فكيف ينجح في الفرار من إدارة المخابرات العلمية نفسها ، حيث تبلغ وسائل الأمن ذروتها .

عقدت (سلوى) حاجبها ، وهي تقول في صرامة :
— علينا أن نبذل أقصى جهدنا لجعل ذلك ممكنًا يا سيدي .
أراد الدكتور (حجازى) أن يعترض مرة أخرى ، إلا أن (رمزى) أسرع يسأل (سلوى) في اهتمام :

— لم يخبرك (نور) بما توصل إليه ؟
ظهر الضيق على وجهها ، وهي تقول في عصبية :
— كلاً .. إنك تعرف طبيعة (نور) .. إنه يفضل الاحتفاظ بما يدور في عقله حتى النهاية .
عاد يسألها في توثر :

— ألم يشر إليه مطلقاً ؟

هزّت رأسها نفياً في حق ، ثم أسرعست تستدرك قائلة :

— إنه كان يتحدث عن تجارب الدكتور (منصور)

السريّة ، عندما توصل فجأة إلى الحل .

هتف (محمود) :

— إذن فالدكتور (منصور) مسئول عما حدث ، على نحو

أو آخر ، وهذا يتفق مع اختفاء والد (نور) ، بعد ذهابه إليه .

ثم أزدف في سخط :

— لماذا لا يجبره رجال الشرطة على الإفصاح عن طبيعة

تجاربه السريّة ؟ .. قد يعاوننا هذا على التوصل إلى حل اللغز ،

مثلاً فعل (نور) .

أجابه الدكتور (حجازي) في ضيق :

— هذا مستحيل يا ولدي ، فقانون حرية البحث العلمي ،

الذي صدر عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين ، يمنحه حق

الحفاظ على سريّة تجاربه ، مادام يجربها في معمل رسمي ، ويقرّ

بأنها تسعى للصالح العام ، ولا بدّ من حصولنا أولاً على دليل

يدين هذه التجارب ، وإلا فلن يمكننا إجباره على الإفصاح عن

طبيعتها أبداً .

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول في ضيق :

— أظن أن هذا أقل صعوبة من معاونة (نور) على الفرار .

غمغم الدكتور (حجازي) في ضيق :

— ما زلت أصرّ على أن هذا مستحيل !!

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتي (محمود) ، وهو

يقول :

— لست أراه على هذه الصورة المشائمة يا سيّدي .

هتفت (سلوى) في لهفة :

— هل لديك خطة ما ؟

ابتسم وهو يقول :

— بالطبع .. إننا لسنا مجرد فريق عادي .. إننا فريق

علمي .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

— وسننجح بإذن الله .

★ ★ ★

تطلّع الحارس الخاصّ لزنزانة (نور) إلى وجه (رمزي) ،

المحاط بالضّمادات ، في ريبة ، وهو يقول في شك :

— لماذا تخفي نصف وجهك خلف هذه الضّمادات ؟

أجابه (رمزي) في برود :

— لقد تعرضت لحادث مؤسف ، ولقد تحقق حارس أمن

المبنى من شخصيتي .

نقل الحارس بصره بين وجوه (رمزي) و (محمود)

و (سلوى) في شك واضح ، قبل أن يقول في صراحة :

— هل سيقوم ثلاثتكم بزيارته في آن واحد ؟

أجابته (سلوى) في هدوء :

— سأدخل أنا إلى الزنزانة وحدي ، وسيبقى زميلاي هنا ،

فلقد أرادا رؤيته فحسب ، أما أنا فلدي ما أقوله له .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه الحارس ، وقد خيل إليه

أنه قد فهم اللعبة ، وأشار إلى الزر الذي يوقف أشعة الليزر ،

قائلاً في صرامة :

— لو أنكما تتصوران أنه بإمكانكم إيقاف خيوط الليزر ،

ومعاونته على الفرار من هنا فأنتم واهمون ، فسأوقف مفعول

هذا الزر ، قبل مغادرتي المكان ، وسأقف على باب الممر و ..

قاطعته (رمزي) في برود :

— هل سنستمع إلى هذه المحاضرة طويلاً ؟

عقد الحارس حاجبيه في غضب ، ثم التفت وضغط الزر ،

فتوقفت خيوط الليزر ، وترك (سلوى) تدلف إلى الزنزانة ،

ثم أعاد خيوط الليزر ، وانتزع بطاقة مغناطيسية صغيرة من

تجويف رفيع إلى جوار الزر ، ثم ابتسم في خبث وسخرية ، وهو

يتطلع إلى (رمزي) و (محمود) ، قبل أن يسرع الخطا إلى

نهاية الممر ، ويفلق بابه خلفه في إحكام ، ولم يكذ يفعل حتى

قال (رمزي) :

— هيا .. ليس أمامنا سوى ربع ساعة فقط .

أسرع (محمود) ينتزع ساعته الذرية الصغيرة ، التي تحيط

بمعصمه ، وضغط بعض الأزرار الدقيقة في جانبها بسرعة ، ثم

وضعها أرضاً ، إلى جوار خيوط الليزر ، التي تغلق مدخل

الزنزانة ، وابتعد عنها بضع خطوات ، و (نور) يراقب الموقف

في اهتمام وترقب ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفجأة انحنت خيوط الليزر كلها ، على نحو بدا أقرب إلى

مشاهد الخدع السينمائية المحكمة ، واتجهت كلها نحو الساعة

الصغيرة ، التي بدت وكأنها تمتص الأشعة القاتلة في هدوء

وسكون ، صانعة فجوة واسعة عبر باب الزنزانة ، فهتف

(نور) في إعجاب :

— يا للروعة !! ما هذا الشيء يا عزيزي (محمود) ؟

ابتسم (محمود) وهو يقول :

— يمكنك أن تطلق عليه اسم (مستقطب الليزر)
يا (نور) ، وهو يعتمد على كون أشعة الليزر عبارة عن
فوتونات ضوئية مكثفة و ..

قاطعه (رمزي) في توثر :

— ليس الآن يا (محمود) .. سيتوقف مستقطبك الليزري
هذا بعد اثنتي عشرة دقيقة فحسب .
ثم عبر الفجوة ، التي صنعها الخناء خيوط الليزر ، في
سرعة ، وأخذ ينزع الضمادات التي تحيط بوجهه ، وهو
يقول :

— هيا يا (نور) .. لقد أرسل لك الدكتور (حجازي)
قناعاً من المطاط الصناعي ، يشبهني تماماً ، وعليك أن تضعه
على وجهك ، ثم تحيطه بتلك الضمادات ، وسيظن الجميع أنك
أنا ، وأنت تغادر المبنى ، ومن حسن الحظ أنهم لا يفحصون
من يغادر المبنى ، مثلما يفعلون مع من يدخله .

التقط (نور) القناع المطاطي ، وهو يسأله في قلق :

— وماذا عنك أنت ؟

أجابه (رمزي) في إصرار واضح :

— سأبقى في الزنزانة بدلاً منك ، فينبغي أن يجد الحارس
سجينه ، حينما تنتهي الزيارة ، وإلا فشلت الخطة ، ولقد صنع

الدكتور (حجازي) قناعاً آخر يشبهك ، وهو لن يخدع
الحارس بالطبع ، ما لم أرقد على فراشك ، وأولى وجهي شطر
الحائط .

غمغم (نور) ، وهو يحيط وجهه بالضمادات ، بعد أن
تُبَّت فوقه ذلك القناع ، الذي يحمل وجه (رمزي) :
— هل تعرف العقوبة التي تنتظرك ، إذا ما كُشف أمرك
بعد فراري ؟

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول :

— نعم يا (نور) ، ولكنني أدين لك بالاعتذار ، بعد أن
أخطأت في تفسير ما حدث ، وأعتقد أن هذه وسيلة مناسبة
لسداد ديني .

ثم أسرع يستطرد ، قبل أن يعترض (نور) :

— والآن هيا ، فلم يعد باقياً لنا إلا خمس دقائق فقط ، ولا بد

من أن نستبدل ثيابنا في سرعة .

أطلت نظرة امتنان من عيني (نور) ، وأسرع يستبدل

ثيابه مع (رمزي) ، وهو يسأله :

— سؤال أخير .. لماذا بقيتما أنت و (محمود) خارج

الزنزانة ؟

ابتسم (رمزي) ، وهو يقول :

— الطب النفسي يا صديقي .. فلقد زرعنا الشك في قلب

الحارس ، وجعلنا تفكيره كله يتجه إلى زَرَّ إبطال خيوط الليزر ،
وسيكون هذا أول ما يتطَّلَع إليه حينما يعود ، بعد انتهاء
الزيارة ، ولن يخطر بباله مطلقاً أنك أنت الذي تقف إلى جوار
(محمود) في الخارج ، وأنا الذي أقف مع (سلوى) في
الداخل .. إنه ما يسمى بالتشتيت الذهني يا صديقي .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— يا إلهي !! .. يبدو أننا فريق رائع يا رفاق ، ومن حسن
الحظ أننا نعمل إلى جانب العدالة ، وليس ضدها .

ابتسم (رمزي) وهو يقول :

— موقفنا هذا يجعلني أتصوّر العكس يا (نور) .

صاح (محمود) في قلق :

— هيا يا (نور) .. لم تعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .
أسرع (نور) يعبر الفجوة بين خيوط الليزر ، ويقف إلى
جوار (محمود) ، خارج الزنزانة ، في حين ارتفع أزيز خافت
من الساعة ، ثم توقّف فجأة ، وعادت خيوط الليزر إلى موقعها
الأول ، لتغلق الزنزانة ، وأسرع (محمود) يستعيد ساعته ،

ويحيط بها معصمه ، في نفس اللحظة التي عاد فيها الحارس ،
وهو يقول في صرامة :

— انتهت الزيارة أيها السادة .

أدار (رمزي) وجهه إلى الحائط ، على حين اتجه انتباه
الحارس إلى زَرَّ خيوط الليزر ، تماماً كما توقّع هو ، وأعاد بطاقته
المغناطيسية إلى ذلك التجويف ، الذي يجاور الزَّرَّ ، ثم أوقف
خيوط الليزر ، وترك (سلوى) تغادر الزنزانة ، ثم أعاد
الخيوط ، وابتسم في خبث وهو يقول في ثقة :

— لن تنجح خططكم في تهريبه أيها السادة .. إن الفرار من
هذه الزنزانة مستحيل !!

★ ★ ★

« كنت أتوقّع هذا »

غمغم القائد الأعلى بهذه العبارة وهو يتسم ، ويراقب
ما يحدث في زنزانة (نور) ، عبر شاشات المراقبة ، فعقد
الدكتور (عبد الله) ، مدير المختبرات العلمية للمخابرات ،
حاجبيه ، وهو يراقب الشاشة ، قائلاً :

— هل ستركهم يغادرون المبنى يا سيدي ؟

أجابته القائد الأعلى في صرامة :

— نعم .

ثم استطرد في اهتمام :

— ما أن أبلغنى حارس أمن البوابة أن الفريق كله قد أتى لزيارة (نور) دفعة واحدة ، وبأن (رمزى) يخفى نصف وجهه بضمادات سمكة ، حتى أدركت فوراً أنهم يعدّون خطة لتهرب (نور) ، فأمرت رجال المراقبة بالتجاوز عن القانون ، وعدم إبطال المراقبة في أثناء الزيارة ، ونقل كل ما يحدث إلى شاشتى الخاصة .

وابتسم ، وهو يردف في لهجة أقرب إلى الإعجاب :

— ولقد حدث ما توقّعت ، وأثبت فريق (نور) أنه أعظم فرق الإدارة ، فلقد نفذوا خطة العصر ، ونجحوا في تهريب (نور) من زنزانه إليكترونية حديثة ، كنّا نظن الفرار منها مستحيلاً .

غمغم الدكتور (عبد الله) في قلق :

— ولكن هذا يخالف القانون يا سيّدى .

ابتسم القائد الأعلى في هدوء ، وشبك أصابع كفيه أمام

وجهه ، وهو يقول :

— رُوَيْدَكَ يا دكتور (عبد الله) .. أنت تعلم مثلى أن

(نور) من ضباطنا الأوائل ، الذين يوليهـم الجميع ثقة مطلقة ، وكلانا يرفض منذ البداية تصديق أنه خائن ، فلماذا لا نمنحه فرصة إثبات براءته ؟

عاد الدكتور (عبد الله) يغمغم في قلق :

— ولكن القانون ..

لَوْح القائد الأعلى بكفه في هدوء ، وحافظ على ابتسامته ، وهو يقول :

— وماذا عن الضمير يا دكتور (عبد الله) ؟ .. حاول

أن تتجاهل تلك القواعد الروتينية ، وتفكر في الأمر برمته على نحو آخر .. أنت تعلم أن هذه القضية بالذات متشابكة ومعقدة

للفاية ، وبها الكثير من الغموض ، أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (عبد الله) في حذر :

— هذا صحيح .

عاد القائد الأعلى يلوّح بكفه ، وهو يقول :

— عظيم .. أليست هذه — بالذات — هى نوعية

القضايا ، التى نسندّها دائماً لـ (نور) وفريقه ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) :

— بلى .

٥ - الكل في الجزء ..

زفرت (سلوى) في قوّة ، وكأنها تلقى بثقل هائل يجثم على صدرها ، حينما ابتعد (نور) بسيّارة (رمزي) عن مبنى إدارة الخابرات العلميّة ، وهتفت في صوت يحمل كل توترها وانفعالها :

— يا إلهي !! .. لم أتصوّر أبداً أن الخطوة ستجرح .
ابتسم (نور) ، وقال وهو يزيل الضّمادات عن وجهه :
— لقد كانت خطة رائعة يا عزيزتي ، ويؤسفني أنها قد كشفت قصوراً في وسائل الأمن داخل الإدارة ، سأحاول وضع تقرير عن ذلك عند عودتي للعمل .
عقد (محمود) حاجبيه ، وقال من المقعد الخلفي للسيارة :
— (نور) .. إنك تبدو واثقاً من براءتك هذه المرة .
أجابته (نور) في هدوء وثقة :

— هذا صحيح يا (محمود) .
وصل فضول (سلوى) إلى ذروته ، وهي تسأله :
— ألن تبلغني بعد ما يدور في عقلك يا (نور) ؟
التقى حاجباه ، وهو يقول :
— ليس الآن يا عزيزتي .. إن الأمر أعقد من أن يصدّقه

اعتدل القائد الأعلى ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :
— إذن فلم لا نسند إليهم هذه القضية أيضاً ؟

ارتفع حاجبا الدكتور (عبد الله) في دهشة ، وهو يقول :
— ماذا تعني يا سيدي ؟

أجابته القائد الأعلى في رزانة وهدوء :

— أعني أننا سنكتفي بمراقبة (نور) وفريقه يا دكتور (عبد الله) ، وسنترك (نور) يحل لغز قضية (نور) .
وعاد يسترخي في مقعده ، وهو يردف في ثقة :
— هذا هو الأسلوب الأمثل لحل مثل هذه الأمور المعقّدة
يا دكتور (عبد الله) .. سنترك (نور) يواجه (نور) .
ولم يدر القائد الأعلى أن عبارته كانت تتطابق مع الحقيقة المذهلة تماماً ..

لقد كان على (نور) أن يواجه (نور) ..

أحد ، ولن يتخذ صورته الصحيحة في ذهني ، إلا بعد أن ألتقي
بالدكتور (منصور) ، وأكشف حقيقة تجاربه السرية .

سأله (محمود) في اهتمام :

— هل تؤمن بأنه المسئول عما حدث ؟

صمت (نور) لحظة ، وهو يقود سيارة (رمزي)
الصاروخية ، عبر الطريق الخاص ، الذي يقود إلى
(أسبوط) ، ثم أجاب في صوت عميق :

— لو صخ استتاجي يا (محمود) ، فسيعني هذا أننى لن
أقاتل الدكتور (منصور) ، بل سيكون على أن أقاتل من هو
أخطر من ذلك .

وعاد إلى صمته لحظة أخرى ، وقبل أن يردف في لهجة
ارتجف لها جسد (سلوى) :

— سأقاتل نفسي .

اتسعت عينا الدكتور (منصور) في دهشة ، حينما ولج
حجرة مكتبه في المستشفى ، وأغلق بابها خلفه ، ثم التفت ليجد
(نور) جالساً خلف مكتبه ، ومصوباً إليه مسدساً ليزرياً ،
ولكن دهشته هذه لم تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، عاد بعدها



ثم التفت ليجد (نور) جالساً خلف مكتبه ، ومصوباً إليه مسدساً ليزرياً

يعقد حاجيه ، وهو يقول في صرامة :

— إذن فأنت ذلك الضابط الخائن ، الذى يبحثون عنه ! .. هل لك أن تخبرنى عما تفعله فى مكتبى الخاص ؟
أجابه (نور) فى هدوء :

— كنت أنتظر ك يا دكتور (منصور) .

لوح الدكتور (منصور) بذراعه ، وهو يقول فى سخط
وغضب :

— إننى أرفض استقبال الخونة فى مكتبى .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وسدّد مسدّسه الليزرى نحو رأس
الدكتور (منصور) ، قائلاً فى برود :

— أنت مضطر لذلك يا سيّدى للأسف ، ما لم تكن ترغب
فى أن يخرق رأسك العبرى شعاع من الليزر .

عقد الدكتور (منصور) حاجيه ، وقد لاحت له دقّة
الموقف ، وقال فى صرامة :

— ماذا تريد ؟

أجابه (نور) فى صرامة أشد :

— ما نوع التجارب التى تجربها بالضبط يا دكتور
(منصور) ؟

هتف الدكتور (منصور) فى عناد :

— لو تصوّرت أن مسدّسك المصوّب إلى رأسى سيجعلنى
أخبرك فأنت واهم .. إن تجارى سرّية ، وستبقى كذلك ،
والقانون يمنحنى هذا الحق و ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

— مَنْ قال إن تجاربك سرّية إلى هذه الدرجة ؟

أجابه الرجل فى جدّة :

— أنا .. وليس هناك من يعرفها سوى (حازم)
و (هشام) ، وأنا ، وما من مخلوق آخر فى الكون يمكنه ..
عاد (نور) يقاطعه فى لهجة خشنة :

— أنا أعرف طبيعة تجاربك .

حدّق الرجل فى وجهه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن هتف فى
سخط :

— لحدة ساذجة أيها الرائد الخائن .

استرخى (نور) فى مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

— هكذا ؟ .. سأخبرك أنا إذن عن طبيعة تجاربك .. إنها

تعتمد على إنبات كائنات متكاملة من جزء من كائن مشابه ..
أليس كذلك ؟

اتسعت عينا الدكتور (منصور) في ذعر وذهول ، ثم بدا
أقرب إلى الانهيار ، وهو يلقي جسده فوق أقرب مقعد إليه ،
مغمغماً :

— يا إلهي !! كيف عرفت هذا ؟

أجابه (نور) في صرامة :

— ليس هذا بالأمر العسير يا دكتور (منصور) ، فالعلماء
يجرون هذه التجارب منذ عام ألف وتسعمائة وثمانين ، ولكن
نجاحهم اقتصر في المرحلة الأولى على إنتاج نبات كامل ، من
خلية واحدة ، ثم عزلها وتنميتها في وسط مناسب ، ثم ...
قاطعها الدكتور (منصور) ، قائلاً في انفعال :

— لقد كان ذلك أمراً تافهاً يا فتى ، فالخلية التي يتم انتزاعها
من نبات ما ، وتنميتها في وسط ملائم ، يمكنها أن تنتج نباتاً
مشابهاً تماماً للنبات الأصلي ، الذي انتزعت منه الخلية الأولى ،
ولقد نجح العلماء أيضاً ، عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ،
في إنتاج ضفدعة كاملة من خلية واحدة ، تم اختيارها من
ضفدعة حية ، ولقد جاءت الضفدعة الجديدة نسخة طبق
الأصل من الأولى ، ولكنهم عجزوا عن تخليق أى حيوان
ثديي ، من خلية منتزعة من حيوان آخر (*) ؛ لأنهم لم يعلموا

(*) حقيقة علمية

من أى جزء من أجزاء الجسم ، ينبغي أن تنتزع هذه الخلية
المنفردة .

أرخى (نور) مسدسه الليزري ، وهو يستمع في اهتمام إلى
حديث الدكتور (منصور) ، الذي أردف في انفعال بالغ :
— ولقد توصلت أنا إلى هذا السر .. توصلت بعد ربع قرن
من البحث والدراسة .. توصلت إلى المنطقة التي ينبغي انتزاع
خلية منفردة منها ، وتنميتها على مخلوق مطابق تماماً للمخلوق
الأصلي ، صاحب الخلية الأولى ، ولن أكشف سر هذه المنطقة
حتى ولو قتلتنى .

لم يكن ذلك السر يعنى (نور) ، الذي خفق قلبه في قوة ،
حينما شعر باقترابه من حل اللغز الخفيف ، فواصل استماعه إلى
الدكتور (منصور) ، الذي نهض من مقعده ، وشمله الحماس
وهو يستطرد :

— أنا أول عالم في الكون كله ، ينجح في تنمية كائن ثديي
كامل من خلية واحدة ، بل جعله ينمو بمعدل خرافى ، بحيث
يصل إلى النمو الكامل في عشرة أيام فحسب .. ولقد جاءت
النتائج رائعة ومذهلة ، حتى بالنسبة إلى ، فالكائن الجديد ينمو
في سرعة فائقة ، حتى يصل إلى نفس مرحلة العمر ، التي كان

عليها أصله ، حينما انتزعت منه الخلية الأولى ، ثم يتوقف نموه السريع لسبب غير مفهوم ، ويعود إلى النمو بنفس المعدل الطبيعي .. ومن العجيب أنه يحمل كل صفات الكائن الأصلي ، في تطابق مذهل ، لا يحدث حتى بالنسبة للتوائم المشابهة ، فهو يحمل نفس الملامح ، وفصيلة الدم ، وحتى الذاكرة .. لقد كان الجرو ، الذي نبت من خلية واحدة ، يذكر كل ما تعلمه ذلك الجرو الأصلي ، الذي انتزعت منه هذه الخلية .. لست أدري تفسير ذلك علمياً ، ولكن هذا ما يحدث .. إننى أنتج كائناً هو نسخة طبق الأصل من الكائن الأصلي .. إن نجاحى هذا سيضعنى على قمة قائمة العلماء عبر كل العصور .. لقد حققت ما ظنه الجميع مجرد حلم مستحيل .

عقد (نور) حاجبيه فى حنق ، وهو يقول :

— وماذا عن تخليق إنسان كامل من خلية واحدة من جسده ؟ .. هل يسعدك أنها قد حققت نجاحاً مذهلاً ، جعل الجميع يتهمونى بالخيانة .

علت وجه الدكتور (منصور) دهشة حقيقية ، وهو يغمغم :

— تخليق إنسان كامل ١٢ .. ولكنى لم أبلغ هذا المدى من تجارى بعد .

زفر (نور) فى ضيق ، وهو يقول :

— أعلم ذلك يا دكتور (منصور) .. أعلم ذلك .

ثم مال نحو الرجل ، الذى ارتسمت على وجهه دهشة بالغة ، واستطرد فى انفعال :

— هل تذكر ذلك الحادث ، الذى تعرضت له أنا وزوجتى ، والذى عاجلت أنت إصابتي منه ؟

غمغم الرجل فى خيره :

— إننى أذكره بالطبع .

عاد (نور) إلى جلسته الأولى ، وهو يقول :

— لم أكن أنا المقصود بهذا الحادث يا دكتور (منصور) .

وشملت نظراته وجه الرجل ، وهو يستطرد :

— كان المقصود هو قتلك أنت يا دكتور (منصور) .

بأسف ***

٦ - الحقيقة المذهلة ..

تلملت (سلوى) في مقعدها ، داخل سيارة (رمزي) الصاروخية ، وبدت شديدة القلق والتوتر ، وهي تلتفت إلى (محمود) ، الذي يحتل مقعد القيادة ، قائلة في عصبية :
— لقد طال غياب (نور) .. ترى ماذا يفعل طوال كل هذا الوقت ؟

أجابها (محمود) في هدوء ، وهو يراقب مدخل المستشفى في اهتمام :

— الأمر يحتاج إلى وقت طويل يا (سلوى) ، فلا تنسى أنه يواجه الرجل بالحقيقة .

عقدت حاحيها ، وهي تقول في غضب :

— نعم الحقيقة التي لم يخبرنا بها .

ابتسم (محمود) ابتسامه باهتة . وهو يقول :

— ليس هذا هو المهم الآن يا (سلوى) إن (نور)

يسعى لإثبات براءته ، وهذا ما نسعى إليه جميعا ، وعلينا أن نثق به ثقة عمياء ، وننفذ أوامره بلا مناقشة .

تطلعت إلى باب المستشفى لحظة ، قبل أن تغمغم في خنق :

— أكاد أتنازل عن نصف عمري ، لمعرفة ما يدور هناك .

أجابها (محمود) :

— احتفظي بعمر ككله يا (سلوى) .. إننا لن نعلم إلا

ما يخبرنا به (نور) .

وتسلل القلق إلى صوته ، وهو يستطرد :

— وليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير للجميع .

★ ★ ★

لم يدر الدكتور (منصور) كم مضى من الوقت ، وهو يحرق في وجه (نور) في ذهول ، قبل أن يشحب صوته

كوجهه ، وهو يغمغم في صوت متحشرج :

— قتل أنا ؟ .. لماذا ؟ .. من ذا الذي يريد قتل ؟

أجابته (نور) في هدوء ، وهو ينهض من خلف المكتب :

— سأخبرك أنا يا دكتور (منصور) .

وترك مسدسه الليزري فوق المكتب ، وعقد كفيه خلف

ظهره ، وهو يسير في الحجرة ، مستطرذا في اهتمام :

— لقد تصوّرت في البداية ، كما تصوّر والدي ، أنني كنت

المقصود بذلك الحادث ، وأن وصولك المفاجئ بعد لحظات

من الحادث ، لم يكن سوى جزء من خطة محكمة ، تهدف إلى

التخلص منى ، أو وصمى بالخيانة ، عن طريق زرع جهاز توجيه خاص في خلايا مخي ، إلا أنني تذكرت فجأة أن صديقنا الممثل (ممدوح خالده) ، هو الذى أرسل لنا دعوتى المسرحية ، وهذا يعنى أن أحدا لم يكن يعلم بأمر انطلاقنا فى ذلك الطريق ، فى هذا الوقت بالذات وهنا ترابطت أطراف الحيط كلها فى رأسى ، وتوصلت إلى الحقيقة ..

لقد كنت أنت المقصود بالحادث ، ولكن الشخص ، الذى وضع خطة التخلص منك ، تصور أن سيارتنا هى سيارتك ، بسبب الضباب الكثيف فى تلك الليلة ، فبث صورة الفتاة ، التى جعلتنا ننحرف عن الطريق ، ونرتطم بسفح الجبل ، ولهذا وصلت سيارتك بعدنا بلحظات ، فقد كانت هى السيارة المقصودة ، ولقد أنقذ ذلك الخطأ حياتى وحياتك معا ، فأنت نجوت من الحادث ، وأنا نجوت من الموت بسبب إصابتي .. وفى حجرتك هنا ، أخبرك والذى أننى ضابط فى المخابرات العلمية ، وكانت هذه المعلومة مفاجئة للمجرم ، الذى قرر إلغاء الخطوة الأولى ، والانتقال إلى خطوة ثانية ، يفيد فيها من الموقف الجديد ، فانتهاز فرصة وقوعى تحت تأثير المخدر ، وانتزع من جسدى خلية مناسبة ، من تلك المنطقة الخاصة ،

التي ترفض الإفصاح عنها ، وحملها إلى معمله الخاص ، خارج المستشفى ، حيث يطبق تلك التجارب ، التى يتعلمها منك ، وانتقل فى جراحة إلى خطوة لم تنتقل إليها بعد .. لقد صنع من خلتي شيئا لى ، يحمل كل صفاتى ، وملاحي ، وذاكرتى ..

صنع غريما مثاليا لى ..

وسرق ذلك الغريم ، الذى هو جزء من نفسى ، أسطوانات الكمبيوتر السريّة ، من إدارة المخابرات الخاصة ، وتركنى أدفع ثمن جريمته ، وأنا عاجز عن إثبات براءتى .

كانت بصماته هى بصماتى ، ودماءه هى دماي ، وكل صفاته هى صفاتى ..

وكدت أصاب بالجنون ، وأعدم بتهمة الخيانة ، لولا أن تذكرت أمر الجروين المتطابقين ، اللذين رأهما أبى هنا ، فى مكتبك .. وعلى الرغم من غرابة التفسير ، وصعوبته ، إلا أنه بدا لى التفسير المنطقى الوحيد ، الذى يجعل الأمور مقبولة ومعقولة .

استمع إليه الدكتور (منصور) فى ذهول ، ثم هتف :
— إن كلامك يعنى أن ذلك المجرم هو ..

عجز عن إكمال عبارته ، فأكملها (نور) ، قائلاً :
— واحد من مساعديك (حازم) أو (هشام) ، أو
كلاهما يا دكتور (منصور) .

غمغم الدكتور (منصور) في ألم :
— ولكن لماذا حاول ، أو حاولا قتلي ؟
أجابه (نور) في برود :

— حتى يحوز ، أو يحوزا سرّ كشفك ، دون أن تراحهما
فيه ، وحتى يمكنهما استغلاله ، بحيث يعود عليهما بأرباح
طائلة .

غمغم الدكتور (منصور) في ذهول :
— أرباح طائلة ؟ !
أجابه (نور) :

— بالطبع .. هل تعلم كم تربح الجاسوسية العلمية ، في
عصرنا هذا يا دكتور (منصور) ؟

ارتسم مزيج من الوجوم والذهول على وجه الدكتور
(منصور) ، وهو يهمهم بكلمات مبهمة ، قبل أن تتحوّل
هممته إلى غمغمة مفهومة ، وهو يقول :

— الاثنان .. هذا مستحيل !! لا يمكن أن أكون قد
أخطأت اختيار الاثنين .. إنه واحد منهما فقط ولا شك .
أوماً (نور) برأسه موافقاً ، وهو يقول في هدوء :

— أعتقد أنني أميل إلى ذلك يا سيدي .
امتلاً صوت الدكتور (منصور) بمزيج من اللهفة
والسخط ، والغضب ، وهو يسأل (نور) :

— من منهما أيّها الرائد ؟ .. من ؟
التفت (نور) إلى باب الحجرة ، وهو يقول في هدوء :
— لا تتعجل الأمور يا دكتور (منصور) .. سيدخل
الحائن من هذا الباب بعد لحظات .

لم يكد (نور) يتم عبارته ، حتى بدت وكأنها نبوءة
خارقة ، فقد فُتح الباب فجأة ، ودخل أحد مساعدي الدكتور
(منصور) إلى الحجرة ، ووقف يحدج الاثنين بنظرات باردة ،
في حين حدّق الدكتور (منصور) في وجهه ، وهو يهتف في
سخط :

— إذن فهو أنت !! .. هو أنت يا (هشام) !!
وفي حركة سريعة ، التقط (هشام) من جيب معطفه
مسدساً ليزرياً ، وصوبه إليهما ، وهو يتسم في برود ، قائلاً :

— نعم .. هو أنا يا دكتور (منصور) .. أنا الذى سيفوز
بكل الجوائز .. مع اعتذارى لكما .
واختتم عبارته بضحكة شيطانية ساخرة ..

★ ★ ★



وفى حركة سريعة، التقط (هشام) من جيب معطفه مسدسًا ليزريًا
وصوبه إليهما

لم يكد صوت الضحكة الشيطانية يتلاشى ، حتى ارتفع صوت الدكتور (منصور) ، وهو يهتف في سخط هائل :

— أيها الخائن .. أيها الوغد .. إنك ..

قاطعته (هشام) بصوت صارم عنيف :

— كَفَّ عن غَطْرَسَتِكَ هذه أيها المأفون ، ألم تر بعد أن الأمور قد انقلبت ، وكشفت عن وجهها الآخر ، الذي يرسل بك إلى ذيل القائمة ؟!

احتقن وجه الدكتور (منصور) ، وهو يهتف :

— ذيل القائمة ؟! .. إنه اختراعى أنا أيها الحقير ..

كشفى أنا ..

أطلق (هشام) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— حاول أن تثبت ذلك أيها المتغطرس .. فبعد أن أتخلص

منك ، ومن (حازم) ، ومع إصرارك الغبى على الحفاظ على

سِرِّيَّة تجاربك ، سيكون من السهل أن أدعى أن تجاربك كانت

تدور حول شيء سخيف ، وبعد عام أو عامين يمكننى أن أقدم

تجاربك باسمى ، وأحوز المجد كله .

اختنقت الكلمات في حلق الدكتور (منصور) ، وازداد

احتقان وجهه ، وهو يحاول أن ينطق بكلمة ما ، ولكن يبدو أن المفاجآت التى توالى توالى عليه قد زلزلت كيانه ، فقد بدا لحظة وكأنه سيهوى فاقد الوعي ، قبل أن يتشبث بحافة مكتبه ، ويُلقى جسده على المقعد المجاور له ، وهو يغمغم في صوت متحشرج :

— يالك من حقير !! يالك من حقير !!

ثم أدار عينيه إلى (نور) في حركة حادة ، وهو يستطرد في مرارة :

— لارِيب .. لارِيب أنك شريكه .. وإلا فكيف ؟ ..

كيف عرفت أنه سيهمل إلى الحجره ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول في هدوء :

— أخطأت التفسير كالمعتاد يا دكتور (منصور) ، كان

ينبغي أن تسألنى أولاً : كيف عرف هو أننى ضابط مخبرات

علمية ، فى حين كنت أنت ووالدى وحدكما فى الحجره ، حينما

أخبرك والدى بذلك ، وجدران حجرتك عازلة للصوت ؟

ضاقت عينا (هشام) ، وهو يحدج (نور) بنظرة قاسية ،

فى حين استطرد هذا الأخير فى هدوء :

— لقد كان يتصنَّع على حجرتك بجهاز ناقل للصوت

ثَبَّتَهُ فِي مَكَانٍ مَا هُنَا يَا سَيِّدِي ، وَلَمَّا كُنْتَ قَدْ اسْتَنْجَيْتَ هَذَا مِنْذُ
الْبَدَايَةِ ، فَقَدْ كُنْتَ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَمِعُ إِلَيْنَا حَقًّا ، وَأَنَا أَسْرُدُ عَلَيْكَ
مَا تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ ، حِينَمَا يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ
كَشَفْتُ الْأَمْرَ ، أَنِ يَحَاوِلُ إِيقَافَنَا ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ الْأُمُورُ عَلَى
رَأْسِهِ ، وَكَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْرِعَ إِلَى هُنَا ، وَيَهْدِدُنَا بِمَسْئَلِهِ .
اِمْتَلَأَتْ نَفْسُ الدَّكُورِ (مَنْصُور) بِالْخَيْرَةِ وَالشُّرُودِ ،
وَهُوَ يَحْدِّقُ فِي وَجْهِ (نُور) بَعَيْنَيْنِ زَائِغَتَيْنِ ، غَيْرِ مُصَدِّقٍ لِمَا
يَتَهَاوَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ صَوَاعِقِ الْحَقِيقَةِ ، عَلَى حِينِ عِلَتْ شَفْتِي
(هِشَام) ابْتِسَامَةً شَيْطَانِيَّةً ، وَهُوَ يَقُولُ :

— رَائِعٌ أَيُّهَا الرَّائِدُ .. إِنِّي أَشْعُرُ بِالِابْتِهَاجِ ، كُلَّمَا أَبْدَيْتَ
أَنْتَ لَحْظَةً مِنْ لَحَاحَاتِ عَبْقَرِيَّتِكَ ، فَلَا تَنْسَ أَنِّي أَمْتَلِكُ نَسْخَةَ طَبَقِ
الْأَصْلِ مِنْكَ ، فِيمَا عَدَا أَنَّهَا تَسِيرُ عَلَى مَنْهَاجِي الْخَاصِّ .

الْتَفَتَ إِلَيْهِ (نُور) ، يَحْدِجُهُ بِنَظَرَاتٍ هَادِئَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ
فِي صَوْتٍ يَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْفَضُولِ :

— مَا دُمْتَ قَدْ أَشَرْتَ إِلَى ذَلِكَ ، فَدَعْنِي أَلْقِي عَلَيْكَ ذَلِكَ
السُّؤَالَ ، الَّذِي لَمْ أَجِدْ لَهُ جَوَابًا حَتَّى الْآنَ ، وَهُوَ كَيْفَ أَصْبَحَ
شَبِيهًا بِمُخَالَفَةِ تِمَامًا فِي الْإِنْتِمَاءِ لِهَذَا الْوَطَنِ ، مَا دَامَ يَحْمِلُ نَفْسَ
صِفَاتِي ، وَذَاكَرْتِي ؟

بَدَا الزُّهْوُ عَلَى وَجْهِ (هِشَام) ، وَلَوْحٌ بِمَسْدُوسِهِ ، هُوَ يَقُولُ
فِي تَفَاخُرٍ :

— غَسِيلُ الْمَخِ يَا صَدِيقِي .. لَقَدْ كَانَتْ فُرْصَةٌ مِثَالِيَّةً أَنْ
تُرَاقِبَ مَخًّا بَشَرِيًّا ، وَهُوَ يَنْمُو أَمَامَكَ فِي سُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، خِلَالَ
عَشْرَةِ أَيَّامٍ فَحَسَبِ ، وَلَقَدْ تَرَكْتُ لَهُ ذَاكَرَتَهُ ، أَوْ ذَاكَرَتَكَ
بِمَعْنَى أَدِقِّ ، وَلَكِنِّي أَقْنَعْتُهُ وَهُوَ يَنْمُو بِأَنَّكَ عَدُوُّهُ الْأَوَّلُ ،
الَّذِي يَسْعَى لِتَدْمِيرِهِ ، وَأَنْ فُرْصَتَهُ الْوَحِيدَةَ فِي الْبَقَاءِ هِيَ فِي
إِزَاحَتِكَ مِنَ الطَّرِيقِ .

عَقَدَ (نُور) حَاجِبِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— إِذْنٌ فَقَدْ تَعَمَّدُ أَنْ يَكْشِفَ حَادِثَ السُّطُو الَّذِي ارْتَكَبَهُ ،
حَتَّى يَوْقَعَ بِي أَنَا ، وَلِلْسَبَبِ نَفْسِهِ تَعَمَّدَ جَرَحَ رَاحَةِ يَدِهِ ،
وَتَرَكَ دِمَاءَهُ تَنْزِفَ عَلَى أَرْضِ الْمَعْمَلِ ، وَتَرَكَ مُذَيَّتَهُ خَلْفَهُ ..
كُلُّ هَذَا حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنِّي .

أَطْلَقَ (هِشَام) ضَحْكَةً سَاخِرَةً ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ :

— إِنَّهُ عَبْقَرِي .. مِثْلَكَ تِمَامًا أَيُّهَا الرَّائِدُ ، وَلَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ
كَيْفَ سَيَفْكُرُ صَدِيقُكَ الطَّيِّبُ النَّفْسَى ، وَكَيْفَ سَيَتَصَرَّفُ
طَبِيعُكَ الشَّرْعِيَّ .. لَقَدْ تَصَرَّفَ عَلَى نَفْسِ النَّحْوِ ، الَّذِي كَانَ
مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَصَرَّفَ أَنْتَ بِهِ ، لَوْ أَنَّكَ فِي مَوْقِعِهِ .. إِنَّهُ جِزْءٌ
مِنْكَ أَيُّهَا الرَّائِدُ .. جِزْءٌ صَارَ نَسْخَةً مَذْهَلَةً مِنْ شَخْصِيَّتِكَ .

بدا الغضب على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

— نسخة شريرة !!

عاد (هشام) يطلق نفس ضحكته الساخرة ، قبل أن يقول :

— بل نسخة ملائمة لمشروعات المستقبلية أيها الرائد ..
نسخة تصلح لصنع أقوى جاسوس في العالم .

لوح (نور) بكفه في لامبالاة ، وهو يقول :

— خطة فاشلة أيها الوغد ، فإدانتى بتهمة الخيانة تعنى إدانته
أيضاً .

هز (هشام) كتفيه في استهتار ، وهو يقول :

— المهم أن تذهب أنت أولاً ، وبعدها كان عقله العبقري
سيجد وسيلة مناسبة لظهوره ، مدّعياً مثلاً أنك أنت النسخة ،
وأنه هو الأصل ، أو أى حل آخر .. إنه عبقري ، كما لا بد أنك
تعلم ، ولن يعجز عن تبرير ظهوره ، ثم إنه لا توجد وسيلة
واحدة في العالم أجمع للتمييز بينكما .

انبعث صوت الدكتور (منصور) فجأة ، وهو يغمغم في
مرارة :

— هذا صحيح .

تم عاد إلى صمته ، كما لو أن هذه العبارة هي كل ما بقى
في حنجرتة ، بعد الصدمات المتتالية التي تلقاها في الدقائق
الماضية ، ولقد تجاهل (نور) العبارة تماماً ، وهو يسأل
(هشام) :

— سؤال آخر .. كيف عرف شيبى أننى اختبئ في معمل
الدكتور (حجازى) الخاص ؟

هز (هشام) رأسه ، وهو يقول :

— لست أدري .. إنه لم يفصح عن ذلك أبداً .

وهنا انبعث صوت الدكتور (منصور) مرة أخرى ، وهو
يقول في تحاذل :

— التخاطر العقلي يا ولدى .. إنه أحد صفات التوائم
المتشابهة (*) وشيبك هو جزء من جسدك ، ومن الطبيعي أن
يحدث بينكما تخاطر عقلي ، إلى درجة ما .

لم يكذ الدكتور (منصور) يتم عبارته ، حتى اندفع
(حازم) ، المساعد الثانى ، داخل الحجره ، وهو يهتف في
لهفة :

— دكتور (منصور) .. إن الجرو الآخر قد ..

(*) حقيقة علمية .

واختلق النصف الثاني من العبارة في حلقه فجأة ، وهو
يحدّق في الحجرة ، قبل أن يهتف في دهشة :

— ماذا يحدث هنا ؟

ثم اندفع نحو (هشام) ، صائحاً في سخط :

— كيف تجرؤ على حمل مسدّس ليزريّ في حضرة أستاذنا

ال ..

وفجأة ، وبلا أدنى قدر من التردّد ، أطلق (هشام) أشعة
مسدّسه الليزريّ نحو (حازم) ، وبلا أدنى قدر من التردّد
أيضاً ، انقضّ (نور) على خصمه ..

★ ★ ★

اخترقت الأشعة القاتلة رأس (حازم) بلا رحمة ،
فجحظت عيناه في مزيج من الذهول والألم ، قبل أن يسقط
جثة هامدة ، في نفس اللحظة التي قفز فيها (نور) نحو
(هشام) ، وركل مسدّسه في قوّة ، ثم كال له لكمة قويّة ،
جعلته يترنّح ، إلّا أنه تفادى لكمة (نور) الثانية في براعة ،
كأنما لم يتلق لكمته الأولى منذ لحظة واحدة ، وانقضّ على
(نور) بدوره بلكمه في معدته ..

كانت اللكمة قويّة عنيفة ، إلّا أن (نور) احتملها في
بسالة ، ومال بجسده يساراً مراوغاً خصمه ، ثم غاص بجسده
إلى أسفل ، وانتصب لتهوى قبضته على فك خصمه كالقنبلة ،
مما دفع (هشام) إلى الخلف ، ليرتطم ظهره بحافة مكتب
الدكتور (منصور) ، ويتأوّه في ألم ..

وانتزع ذلك القتال المفاجئ الدكتور (منصور) من
ذهوله ، وارتسم مزيج من الغضب والكراهية في ملامحه ،
واستدارت عيناه إلى حيث سقط مسدّس مساعده ، وهبّ من
مقعده فجأة ، وقفز يلتقط المسدّس ، ويصوّبه إلى (هشام) ،
وهو يصرخ في ثورة :

— ستدفع ثمن جرائمك أيها الخسيس ..

صاح (نور) في جزع :

— كلاً يا دكتور (منصور) .. كلاً ..

ولكن (هشام) التقط فجأة مسدّس (نور) ، الذي تركه
على سطح المكتب ، ومال بجسده متفادياً طلقة الأشعة ، التي
انبعثت من مسدّس الدكتور (منصور) ، ثم أطلق أشعة مسدّسه
هو ، لتنفذ من صدر الدكتور (منصور) ، وتخترق قلبه فوراً .
وجحظت عينا الدكتور (منصور) ، وسقط المسدّس من
كفه ، وهو يغمغم :

— أيها الخسيس ، أيها ال ..

ثم سقط بدوره جثة هامدة ، وحاول (هشام) أن يدير
مسدسه نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير قفز جانباً ، وأمسك
معصم خصمه ، ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، وهو يهتف
في غضب :

— أيها القاتل الحقير !!

سقط (هشام) أرضاً ، وأفلت مسدسه من يده ، فالتقطه
(نور) في خفة ومهارة ، وصوبه إليه ، وهو يقول في صرامة
غاضبة :

— انتهت اللعبة أيها الحقير .. لقد خسرت كل الجوائز ،
التي كنت تحلم بها .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (هشام) ، وهو
ينهض ممسكاً بفكه ، وقال في برود :

— هل تظن ذلك؟ .. وماذا عن والدك أيها الهمام ؟

التقى حاجبا (نور) ، وهو يغمغم في دهشة :

— والدي ؟ !

أطلق (هشام) ضحكة شرسة ، قبل أن يقول في جدّة :

— إذن فهم لم يخبروك أن والدك في حوزتي ، وأنه سيلقى

مصرعه ، ما لم تصحبني في هدوء إلى معمل الخاص .



وحاول (هشام) أن يدير مسدسه نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير
قفز جانباً ، وأمسك معصم خصمه

أجابه (نور) في صرامة شديدة ، تمتزج بمزيج من السخط والغضب :

— لو منبت شعرة واحدة من جسد والدى سأ ..

قاطع (هشام) في سخرية :

— مسدسك أيها الرائد .

ران عليهما لحظة قصيرة ، تبادلاً خلالها نظرة صارمة متحدية ، قبل أن يلقي (نور) مسدسه في حنق ، وهو يقول :

— إنك لم تترك لي الخيار أيها الوغد .

الحنى (هشام) ليلتقط المسدس في هدوء ، ثم دسّه في جيب مغطفه ، وعادت تلك الابتسامة الساخرة ترسم على شففيه ، وهو يواجه (نور) ، قائلاً :

— اختيار حكيم أيها الرائد .. والآن هيّا بنا .. لقد حان الوقت لتواجه خلعتك ، التي صارت رجلاً يافعا ..

★ ★ ★

سرت ارتجافة في جسد (محمود) ، وتشبّث قبضتاه بعجلة قيادة السيارة ، وهو يقول في صوت متحرج منفعل :

— ها هما .

حدّقت (سلوى) في (نور) و (هشام) ، اللذين يسيران نحو سيارة (هشام) الصاروخية في هدوء ، وهتفت في انفعال :

— إن (نور) يسير إلى جواره كأنما كانا صديقين .

أجابها (محمود) في توتر ، وهو يدير محرك سيارته :

— إنهم لن يتقاتلا في الطريق يا (سلوى) ، خاصة وأن (نور) كان يتوقع ذلك ؛ لذا فقد طلب منا أن نتبعه ، إذا ما رأيناه يغادر المستشفى بصحبة طيب شاب .

هتفت في عصبية :

— ماذا تنتظر إذن ؟ .. هيّا بنا .

وفجأة مرفت سيارة إلى جوار سيارتهما ، وانحرفت لتوقّف أمامهما تماماً ، في حين توقفت أخرى خلفهما ، وقفز من السيارتين عدد من رجال الشرطة ، صوّب أحدهم مسدسه إليهما ، وهو يقول في صرامة :

— أوقف المحرك يا فتى .. إننا نلقى القبض عليكما .

تطلّعت (سلوى) في جزع إلى سيارة (هشام) ، التي انطلقت مبتعدة ، وبداخلها زوجها (نور) ، في حين هتف (محمود) في توتر :

— بأية تهمة أيها الضابط ؟ .. إننا على عجلة من أمرنا ،
وكل أوراقتنا سليمة .

ارتجف جسداهما في قوة ، حينما أجابهما الضابط في هدوء :
— إنه أمر من التقارير العلمية .. إننا نلقى القبض عليكما
بتهمة الاشتراك في تهريب الرائد السابق (نور الدين محمود)
من سجنه .

اتسعت عينا (سلوى) و (محمود) في ذعر ، وخفق قلب
(سلوى) في قوة ، وهي تلمح سيارة (هشام) تختفي في
منعطف جانبي ، ووجدت نفسها تغمغم في ألم ومرارة :
— يا إلهي !! .. لقد أفسدتم كل شيء .. لقد فقدنا (نور)
إلى الأبد ..

★ ★ ★

انطلقت سيارة (هشام) ، يقودها هذا الأخير ، عبر طريق
جبلتي ضيق ، لعشر دقائق كاملة ، دون أن يتبادل هو و (نور)
كلمة واحدة .

كان كلاهما يشعران بالانفعال الشديد ..

كان مرجع انفعال (هشام) إلى قرب نجاح خطته ، على
نفس النحو الذي وضعه ، مع تعديل

طفيف ، فقد اضطر لقتل (حازم) ، والدكتور (منصور) ،
وصار هو الوحيد الذي يعلم بسر التجارب الحارقة ، التي
أنجبت شبيه (نور) ، ولقد حرص على أن يغادر المستشفى مع
(نور) ، أمام عيون الجميع ، حتى يمكنه أن يدعى فيما بعد
أن (نور) هو الذي قتل الاثنين ، وأنه قد أجبره على اصطحابه
إلى الخارج ، وقيادة سيارته إلى مكان مجهله ، وستبدو أقواله
منطقية ومقبولة ، مادامت شرطة (مصر) كلها تطارد
(نور) ، ومادام هو طبيبا معروفا في المستشفى بحسن الخلق ،
والهدوء ..

أما (نور) فقد كان انفعاله يعود إلى قرب لقائه بشيئه ،
الذي هو جزء من جسده .

كان هذا يثير في أعماقه اللهفة والخوف في آن واحد ، فهو
أول مخلوق على وجه الأرض تتاح له فرصة مقابلة نفسه وجها
لوجه ، ولقد حصل هو على هذه الفرصة النادرة في مغامرة
سابقة هي الأرض الثانية (*) ، حينما التقى بـ (نور) ، ولكن
الذي سيقابله هذه المرة هو نفسه ..

(*) راجع قصة (الأرض الثانية) .. المغامرة رقم (٤٢) .

عجز (نور) طويلاً عن التحديق في وجه شبيهه ، واستنكر عقله في اللحظات الأولى كون هذا الشاب ، الذي يجلس أمامه ، والذي يطابقه في كل دقيقة من دقائقه ، لم يكن منذ أسبوعين وبضعة أيام سوى خلية واحدة ، في مكان ما من جسده ..

كان يعلم أن هذه هي الحقيقة ..
الحقيقة التي تفوق أبرع دروب الخيال ..
الحقيقة التي صنعت منه خائناً في عيون الجميع ..
وفهم الآن فقط ، لماذا خامره شعور بالعجز عن مقاتلة خصمه ، حينما واجهه في معمل الدكتور (حجازي) الخاص ، وقبل حتى أن يكشف عن وجهه ..
لقد أدرك جسده ، قبل أن يدرك عقله ، أن خصمه ليس سوى جزء من نفسه ..

خلية من خلاياه ..

خلية قاتلة متمردة ..

لقد رفض جسده منذ البداية أن يقاتل نفسه ..

رفض (نور) أن يقاتل (نور) ..

وتوقفت سيارة (هشام) أمام منزل صغير ، في أعماق الجبل ، وهبط هو منها ، وهو يقول :
— بعدك أيها الرائد .

هبط (نور) من السيارة ، واتجه نحو المنزل ، وانفعاله يتصاعد مع كل خطوة يخطوها ، إلا أن ذلك الانفعال قفز فجأة إلى ذروته ، وجعل جسده (نور) يرتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، على الرغم من معرفته بما ينتظره ، حينما فتح باب المنزل فجأة ، وظهر على عتبة شبيهه ، الذي هو نسخة كاملة منه ، وراه يتسم في سخرية ، ويقول :

— مرحباً أيها الرائد (نور) .. كم تسعدني مقابلتك ..
أقدم لك نفسي .. أنا أيضاً الرائد (نور) ..
كانت ارتجافة جسده (نور) قوية عنيفة ، وهو يواجه نفسه ..

كان (نور) يواجه (نور) ..

ومرة أخرى سرت في جسده تلك الارتجافة ، حينما قال
شبيهه في سخرية :

— ماذا أصابك ؟ .. هل تدهشك رؤيتي إلى هذا الحد ؟
أجابه (نور) في خفوت :

— هل ترى موقفنا هذا تقليدياً ؟

هز الشبيه كتفيه في لامبالاه ، وهو يقول :

— إنه أمر طبيعي بالنسبة لي على الأقل ، فلقد نشأت وأنا
أعلم أنني جزء منك ، وأن فرصتي الوحيدة في البقاء هي
التخلص منك .

غمغم (نور) في مرارة :

— لماذا ؟

مطّ الشبيه شففيه ، وهو يقول :

— أمر طبيعي يا أصلي العزيز .. إن بقاءنا معاً يخلق الكثير
من المشاكل ، فهو يخالف قوانين الطبيعة ، وحتى لو حاولنا ،
وحاول العالم كله التكيف مع الموقف ، فسيأتي يوم يتحتم فيه
التخلص من أحدهما ، حتى تعود قوانين الطبيعة لمسارها
الطبيعي .

لوح (نور) بكفه ، وهو يقول في حنق :

— ألم تحاول أبداً تصوّر العكس ؟ .. ألم تتصور مدى
النجاح الذي يمكن أن نحققه معاً ، لو أننا عملنا جنباً إلى
جنب ؟ .. سنكون أعظم فريق مخبرات علمية في الكون كله
و ..

قاطعه الشبيه في كراهية واضحة :

— وماذا عن ذاكرتنا المشتركة ؟

رفع (نور) حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

— إنها مزيفة وليست نقيصة .

لوح الشبيه بذراعه في مقت مخيف ، وهو يهتف :

— هذا ما تظنه أنت ؛ لأنك أنت الذي يفوز بكل شيء ،

لا أنا .

ثم هبّ من مقعده ، وهو يستطرد في بغض :

— هل نسيت أن ذاكرتي مازالت تحمل حب (سلوى) ،

الذي يملأ قلبك أنت ؟ .. وأن ذاكرتي تصرّ على أنني والد

(نشوى) ابنتك أنت ؟ .. هل تريد مني أن أمحو كل ذلك

من ذاكرتي ، وأكتفي بمراقبتك ، وأنت تنعم بكل هذا ؟ ..

بالزوجة ، والابنه ، والأصدقاء ، والأحباء ؟ .. لا يا من

منحتني خليتك الوجود .. إن ذاكرتنا المشتركة هي لعنة ..

لعنة لا سبيل للقضاء عليها سوى القضاء عليك أنت .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في حَقِّ :
 — الله (سبحانه وتعالى) هو الذى منحك الحياة
 والوجود ، وليس أنا ، ولم تكن تلك الخلية التى اغتصبت من
 جسدى سوى وسيلته (سبحانه وتعالى) لوجودك ، أما عن
 مخالفة قوانين الطبيعة فهذا ما أخالفك فيه ، فلو أن وجودك
 يخالف قوانين الطبيعة ما كنت هنا الآن .. إن وجودك هو
 تطبيق لقانون من قوانين الطبيعة ، لم يدركه العلم إلا مؤخرًا .
 ابتسم الشبيه فى سخرية ، وهو يقول :

— المنطق الفلسفى لا يصلح وحده لحل الأمور ، فقد
 يكون وجودى هو تطبيق لقانون من قوانين الطبيعة ، ولكن
 هذا لا يمنع كونه خطأ .. إن قانون الطبيعة يحتم مصرع أى
 مخلوق ، لو قطعت عنقه ، ولكن الشرائع السماوية تمنع ذلك ،
 دون وجه حق ، فهل تتصور أن مجرد وجود القانون الطبيعى
 يعنى تطبيقه ؟

— أراك تتحدث بمنطق فلسفى أيضاً .
 — ربما ، ولكنه منطق مرفوض ، فلو أردت أن أحيا
 نفس الحياة الطبيعية ، التى تحياها أنت ، لكان من الضرورى
 أن نضع بدلاً لـ (سلوى) ، وآخر لـ (نشوى) ، ثم نقف



ثم هب من مقعده ، وهو يستطرد فى بغض :
 — هل نسيت أن ذاكرتى مازالت تحمل حب (سلوى) .

عاجزين أمام إنتاج منزل كمنزلك ، يحتل نفس الموقع ، ونفس المكان .. إن تطبيق هذا القانون الطبيعي ، الذي تدعى وجوده مستحيل يا صديقي .

— هذا التخطيط هو مسئولية الرجل ، الذي أجرى تلك التجربة الشيطانية ، وليس مسئوليتي أنا .

— إنها ليست محاكمة للمسئول عما حدث .. إنها محاولة لإعادة الأمور إلى طبيعتها الأولى ، مع فارق بسيط ، وهو أن أحتل أنا موقعك ، بعد أن يتم إعدامك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— وهل تظن أنك ستنجح في خداع الجميع ، وإيهامهم بأنك أنا ؟

ابتسم الشبيه في سخرية ، وهو يقول :

— دعهم يحاولون إثبات العكس .. كلانا يعلم أنه ما من وسيلة على وجه الأرض لإثبات ذلك .

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفתי (نور) ، وهو يقول :

— هل تظن ذلك حقًا ؟

لَوَّح الشبيه بذراعه ، وهو يقول في سخرية :

— بل أنا واثق من ذلك .. فلا توجد نقطة واحدة للفرقة بيننا ، ولو أنك تفكر في جرح ذراعك ، فلتعلم أنني قد طعنت ذراعي في نفس الموضع ، وبمعدية مشابهة تمامًا للمُدِيَةِ الأولى ، بعد أن غادرت معمل الدكتور (حجازي) تمامًا ، وهكذا سيجدون في ذراعي طعنة تعود إلى نفس موعد إصابتك .

غمغم (نور) في هدوء :

— وماذا عن جرح راحتك ؟

أطلق الشبيه ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— إنه جرح سطحي صغير للغاية يا صديقي ، ولن يمكنك

إثبات أنك لم تصب به ، ولن يمكنهم إثبات ذلك أيضًا .. أضف إلى هذا فرحتهم ، حينما يتصورون أنك أنت التي نجوت .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— يبدو أن خطتك تخالف خطة (هشام) .

هزَّ الشبيه كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— بالطبع .. إنه رجل غبي ، يتصور أنني أفعل كل هذا

من أجله ، ولم يدرك حتى الآن أنني أعمل لصالحى وحدي فقط .

ثم صوب مسدسه الليزرى فجأة نحو (نور) ، وهو
يستطرد :

— والآن يا أصل وجودى العزيز ، انزع عن ذراعك تلك
الضمادات ، التى تحيط بجرحك ، فلا ينبغي أن أترك دليلاً
واحداً ، يمكنه أن يحدد أينما الأصل ، وأينما يعود إلى خلية
واحدة .

نزع (نور) الضمادات من حول ذراعه ، وهو يسأله فى
هدوء :

— وأين والدى ؟

أشار الشبيه إلى حجرة جانيه ، وهو يقول فى برود :

— هنا .. تحت تأثير مخدر قوى .

سأله (نور) فى هدوء ، وهو يلقي ضماداته بعيداً :

— هل تظن أنك ستنجح فى خداعه .

ابتسم الشبيه فى ثقة ، وهو يقول :

— نعم .. لقد تعمّدت معاملته فى خشونة وجفاء طيلة

الوقت ، وأوحيت إليه بأننى لا أذكر عن حياته السابقة شيئاً ،

حتى بات يتصور أن هذا هو أنا ، وما أن أبدأ فى التصرف

بأسلوبك ، وأذكر له نقطة أو نقطتين ، مما انتقل إلى من

ذاكرتك ، ومما لا يعلمه سواكما ، حتى يجد فى نفسه ميلاً
لتصديق أننى ابنه الحقيقى .

زفر (نور) فى ضيق ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد أعددت لكل شيء عُدته .

ابتسم الشبيه ، وهو يقول :

— لا تنس أن عقلك أنت هو الذى يفكر يا صديقى .

وفجأة اندفع (هشام) داخل الحجرة ، التى يجلس فيها

الشبهان ، وهو يهتف فى ذعر :

— رجال الشرطة يحيطون بالمنزل .. لقد التقطتهم شاشات

المراقبة .. سينقضون على المنزل بعد لحظات ، لا بد أن نفر من

هنا قبل ..

قاطعه الشبيه ، وهو يقول فى برود :

— اهدأ أيها الرجل ، لقد كنت أعلم أنهم سيقبضون

.. (نور) ، حتى يصلوا إلى هنا .

هتف (هشام) فى دهشة واستكار :

— كنت تعلم ؟! .. لماذا لم تخبرنى إذن ؟

ابتسم الشبيه ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

— لم يكن هناك داع لذلك أيها الرجل ، فلن يلقي رجال

الشرطة القبض عليك أبداً .

تضاعفت دهشة (هشام) ، وهو يهتف :

— ماذا تعنى بالله عليك ؟

أجابه الشبيه فى برود :

— أعنى ببساطة أنى أرفض أن أسمح لك بتكرار تجاربك

السخيفة هذه ، التى وضعتنى فى هذه المأساة ؛ لذا فقد دمّرت

كل الوثائق ، التى سرقتها من الدكتور (منصور) ، وكل

ما يتعلّق بهذه التجارب البشعة ، ولم يعد هناك من يعلم أسلوب

إنتاج الخلايا سواك .

اتسعت عينا (هشام) فى ذعر ، وهو يتراجع مغمغماً :

— يا إلهى .. هل تنوى ... ؟

جاءته الإجابة على هيئة دفعة من أشعة الليزر ، اخترقت

رأسه ، وأرسلته إلى حيث يلحق بضحيته (منصور)

و (حازم) ..

وبكل ما يملأ قلبه من مرارة ، وبكل ما يعتصره من ألم ،

قفز (نور) نحو خصمه ..

ونشب القتال بين (نور) .. و (نور) ..

★ ★ ★

كان ذلك الصراع هو أعجب وأقوى صراع اقتحمه

(نور) ، فقد كان يقاتل نفسه ، وبنفس قوته ، وأسلوبه ..

كان القتال متكافئاً إلى حدّ نادر ، يستحيل حدوثه فى

التاريخ كله ..

ولكنه لم يستمر طويلاً ..

لقد اقتحم رجال الشرطة المنزل فجأة ، وصوّبوا بنادقهم

الليزرية إلى المتصارعين ، وارتفع صوت الرائد (فهمى) ،

وهو يقول فى صرامة :

— كفى أيها السيّدان .. إننا نلقى القبض عليكم ،

وأحذركما من ..

ابتلع الجزء الباقى من عبارته ، مع غصة شديدة فى حلقه ،

واتسعت عيناه فى ذهول ، وانتقل الذهول إلى كل رجال

الشرطة المرافقين له ، حينما التفت إليهما الخصمان ..

كان الموقف مخيفاً ، مذهلاً ..

كان هناك رجلان ، من المستحيل التفرقة بينهما ..

رجلان هما (نور) و (نور) ..

وحذّق رجال الشرطة فى الوجهين بذهول ، قبل أن يشير

أحد الخصمين إلى خصمه ، صائحاً :

— ألقوا القبض على هذا الرجل .. إنه زائف .

وهنا هتف الآخر :

— لا تصدّقوا ادّعاءه .. إنه هو الزائف .

ظلّ الجميع يحذّقون في وجهي الشبيهين في ذُهور ، وهما يتبادلان الاتهامات ، قبل أن يعقد الرائد (فهمي) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— سترك تحديد مَنْ منكما الأصلي ، ومن الزائف ، للخبراء .. أمّا الآن فأنا ألقى القبض عليكما معاً .. إنني ألقى القبض عليك يا (نور) .. وأنت يا .. يا (نور) .

* * *



كان ذلك الصراع هو أعجب وأقوى صراع اقتحمه (نور) ، فقد كان يقاتل نفسه

« مذهل !! .. إنها أعجب قضية واجهناها ، في تاريخ
المخبرات العلمية كله ! »
نطق القائد الأعلى للمخبرات العلمية هذه العبارة في ذهول
حقيقى ، جعل الدكتور (عبد الله) يقلب كفيه في خيرة ،
وهو يقول :

— إنهما متطابقان على نحو مذهل يا سيدي ، وتطابقهما
يتجاوز الصوت والملاخ ، إلى تطابق البصمات ، وتحاليل
الدم ، وتوزيع المسام العرقية ، وبصمات قزحية العين ، وحتى
في صور أشعة العظام والمخ .. إنه تطابق مذهل ، يتجاوز كل
القواعد العلمية المعروفة ، وكلاهما يصرّ على أنه (نور)
الحقيقى ، ولقد اتفقت قصتهما عن تجارب الإنبات الخلوى ،
التي كان يجربها الدكتور (منصور) ، قبل مصرعه .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول في خيره :

— هذا يبرئ (نور) الحقيقى من تهمة الخيانة بالطبع ،
ولكن الآخر سيدان بتهمة الخيانة العظمى ، وسيكون الإعدام
هو مصيره الحتمى ، ولكن كيف يمكن التفرقة بينهما ؟
غمغم الدكتور (عبد الله) في يأس :

— لقد عجزنا عن ذلك تمامًا يا سيدي .
صمت القائد الأعلى طويلاً ، وهو يفكر في الأمر بعمق ،
ثم لم يلبث أن التفت إلى الدكتور (عبد الله) ، قائلاً :
— أعتقد أن رفاق (نور) هم أقدر من يمكنهم التفرقة بينهما
يا دكتور (عبد الله) ، وأملنا الوحيد ، في عودة الأمور إلى
مجراها الطبيعى ، هو أن نعلم أيهما (نور) ، وأيها خليته .
وعاد إلى صمته لحظة ، قبل أن يردف في صرامة :
— وسنجرى هذه المحاولة الأخيرة ..

★ ★ ★

وقف أفراد فريق (نور) ، إلى جوار الدكتور (محمد
حجازى) ، ينقلون أبصارهم في ذهول ، بين (نور)
و (نور) ، قبل أن تغمغم (سلوى) :
— مستحيل .. لا يمكن التفرقة بينهما البتة .

قال أحد الشبهين في هدوء :

— كم يحزننى هذا يا عزيزتى (سلوى) ؟ .. كان ينبغي أن
يجد قلبك الجواب ، هل نسيت شهر العسل الرائع ، الذى
قضيناه معاً فى (بلطيم) ؟
أسرع الآخر يقول :

— لا تجعلى هذا يخذلك يا (سلوى) .. إنه يحمل ذاكرتى
كما تعلمين .

نقلت بصرها بينهما فى خيرة ، ثم أخفت وجهها فى
راحتها ، وهى تغمغم فى ألم :

— مستحيل !! مستحيل !! لا يمكن التفرقة بينهما أبداً .

قلب (رمزى) كفيه فى خيرة ، وهو يقول :

— حتى التحليل النفسى لن يفلح فى التفرقة بينهما ، فهما
كائن واحد .. يا إلهى ! .. لم أشعر بمثل هذا العجز من قبل .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يقول :

— أعتقد أننى أملك نقطة للتفرقة بينهما ، فـ (نور)

الحقيقى مصاب بطعنة مادية فى ذراعه .

أسرع أحد الشبيين يكشف عن ذراعه ، ويشير إلى جرح
واضح فيه ، وهو يقول :

— ها هو ذا .

كشف الآخر عن ذراعه بدوره ، وهو يهتف :

— أنا أيضاً عندى نفس الجرح .. لقد اتخذ ذلك الوغد

أهبة لذلك .

انتقلت الخيرة إلى الدكتور (حجازى) ، وهو يقلب

بصره بين الجرحين ، قبل أن يغمغم فى يأس :

— يا إلهى !! .. هذا يزيد الأمر تعقيداً ..

ران صمت ثقيل داخل الحجرة لحظات ، ثم قلب
(محمود) كفيه فى خيرة ويأس ، وهو يقول :

— إنها مهمة مستحيلة يا زفاق .. كيف يمكن التفرقة بين

رجلين ، يتطابقان فى كل شئ ، حتى فى ذاكرتهما .

وفجأة هتف أحد الشبيين :

— يا إلهى !! .. شكراً لك يا (محمود) .. لقد منحتنى

خيط النجاة دون أن تدرى .

ثم استدار نحو الآخر ، أمام العيون الذاهلة ، وهو يقول
فى سخرية :

— صحيح أنك تحمل ذاكرتى يا شيبى ، ولكن تلك

الذاكرة التى تحملها تتوقف عند اللحظة التى انتزعت فيها
خليتك الأولى من جسدى ، أما بعد ذلك ، فستحمل ذاكرتك

أحداثاً جديدة ، تخالف ما ستحمله ذاكرتى أنا .

لم ينجح شبيه (نور) فى إخفاء شحوبه ، وهو يغمغم :

— هراء .

ابتسم (نور) الحقيقى فى ثقة ، وهو يقول بتحد :

— لا بأس .. هل يمكنك أن تخبرنى كيف نجحت فى

الهروب من زنراتك الإليكترونية ؟

ارتبك شبيه (نور) ، وهو يغمغم :

— إنه أسلوب سخيـف .. إننى أرفض هذا الـ ..

قاطعه (نور) ، وهو يلتفت إلى (محمود) ، قائلاً
بابتسامة واثقة :

— هل رأيت يا صديقى (محمود) ؟ .. إنه لا يذكر شيئاً
عن مستطبك الـليزرى .

تهللت أسارير (محمود) ، وهو يهتف فى سعادة :

— يا إلهى !! .. أنت (نور) .. أنت (نور) الحقيقى .
انتقلت سعادته إلى قلوب الجميع ، وألقت (سلوى)
نفسها بين ذراعى زوجها الحقيقى ، وهى تبكى فى فرح ،
وتهتف فى سعادة :

— حمداً لله .. حمداً لله يا (نور) .

أما شبيه (نور) فقد شحب وجهه فى شدة ، وهو يغمغم
فى كراهية :

— ها قد فزت بكل شىء أيها الرائد .

التفت إليه (نور) ، وهو يقول فى حزن :

— كان يمكنك أن تفوز مثلى يا (نور) ، ولكن ..

قاطعه الشبيه فى حدة ، وهو يلوح بذراعه :

— لا تحاول .. لقد خلقت للفناء منذ منبتى من خلـيتك ..
ألم أقل لك إننى أخالف قوانين الطبيعة .
اتسعت عينا (نور) فجأة ، وارتسم فيهما الذعر لحظة ،
قبل أن يعود ليغمغم فى حزن :

— نعم يا جزءاً من جسدى .. أظن هذه هى الحقيقة ،
وتحوّل صوته إلى بحر من الحزن ، وهو يردف :
— لقد خلقت للفناء .

★ ★ ★

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه متهلل الأسارير ،
وصافح (نور) فى قوة وحرارة ، وهو يقول :
— تقبل تهنئـاتى أيها الرائد .. لقد نجوت هذه المرة أيضاً
بفضل عبقريتك .

غمغم (نور) فى حزن :

— شكراً يا سيّدى .. ولكن كيف ستسير الأمور ؟
عاد القائد الأعلى يجلس خلف مكتبه ، وهو يقول فى
حماس :

— لن يضار فريقك يا (نور) .. إن براءتك تعنى إسقاط
كل التهم عن الآخرين ، فلن يدان الدكتور (حجازى) بتهمة

إنتفاء هارب ، ولن يدان أفراد فريقك بتهمة معاونتك على الهرب ، وسنعيد النظر في وسائل الأمن داخل الإدارة .. كل شيء سيسير على ما يرام ، ومرحباً بك مرة ثانية بين صفوف المختبرات العلمية .

سأله (نور) في مرارة :

— كنت أقصد كيف ستسير الأمور بالنسبة له ؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم سأله في خفوت :

— هل يقلقك أمره ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— لا تنس أنه جزء مني يا سيدي .

مطّ القائد الأعلى شفّيته في أسف ، وهو يقول :

— لقد اعترف بكل شيء يا (نور) ، وأدين بتهمة الخيانة

العظمى ، وسيعدم بالطبع .

ظهر الأسى على وجه (نور) ، وهو يقول :

— أما من وسيلة لتخفيف الحكم ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفياً ، وهو يغمغم :

— القانون هو القانون يا (نور) .

رفع (نور) إلى قائداه عينيّن ضارعتين ، وهو يقول :

— هل يمكن تأجيل موعد إعدامه لشهر واحد يا سيدي ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه في حيرة ، وهو يقول :

— نعم يا (نور) .. هذا ممكن ، ولكن لماذا ؟

تردّد (نور) لحظة ، ثم قال :

— إنه لم يخطئ ، حينما قال إنه قد خلق ليفنى يا سيدي ،

وإن وجوده يخالف قوانين الطبيعة .. لقد تذكّرت فجأة كلمة

نطق بها الدكتور (حازم) ، مساعد الدكتور (منصور) ،

قبل أن يلقي مصرعه .. لقد اندفع إلى حجرة أستاذه هاتفاً

بعبارة ما ، بشأن الجرو الآخر ، الذي تمّ إنباته من خلية مأخوذة

من الجرو الأوّل ، ولكن (هشام) لم يمهله ليتم عبارته ، ولقد

تذكّرت تلك الواقعة ، فسافرت صباح أمس إلى (أسبوط)

حيث كشفت أن الجرو الآخر قد لقي مصرعه فجأة .

رفع القائد الأعلى حاجبيه في دهشة ، وهو يغمغم :

— لقي مصرعه ؟ !

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال في حزن :

— إنني أختار خلويّ يا سيدي .. لقد نما الجرو الآخر من خلية

واحدة ، وبسرعة خارقة ، ولم تحتمل خلاياه ذلك النشاط

الفائق طويلاً ، فلم تلبث أن انهارت تماماً بعد أن استقرّ نموها ،

تسللت أشعة الشمس الدافئة إلى حديقة منزل (نور) ،
وداعبت وجه (نور) ، الذى استرخى فى مقعد قماشى ،
يتطلع بعيداً فى شروق ، واقتربت منه زوجته (سلوى) ،
ووضعت كفها على كتفه ، وهى تغمغم فى رقة وحنان وحزن :
— لقد انتهى الأمر يا (نور) .

التفت فى عينيه دمعة حزينة ، وهو يقول دون أن يلتفت
إليها :

— متى ؟

أجابته فى إشفاق :

— منذ ساعة واحدة .. انهارت خلاياه فجأة كما توقعت ،
ولقى مصرعه فى هدوء .

سالت من عينيه دمعة صامتة حزينة ، رقى لها قلب زوجته ،
وهى تجلس إلى جواره ، مغممة فى عطف :

— كانت هذه هى نهايته الحتمية .. أليس كذلك ؟

أوماً برأسه إيجاباً فى صمت ، فعادت تقول :

— هل تشعر بالحزن من أجله ، بعد كل ما فعله بك ؟

أجابها فى حزن شديد :

ولقى الجرو مصرعه ، وأعتقد أن هذا ما سيحدث لشبيهى
أيضاً ، بعد عشرة أيام على الأكثر ، ولعل هذا أيضاً هو سبب
اختلاف شخصيتنا ، على الرغم من أننا نعود إلى مصدر
واحد .

ران الصمت لحظة ، ثم غمغم القائد الأعلى فى خفوت :
— هل تريد أن تجنبه الإعدام يا (نور) ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال فى حزن :

— ستعدم خلاياه نفسها يا سيدى .. وهذا أقل قسوة ..

وأكثر رحمة بالجميع .



— إنه جزء من جسدی یا (سلوی) ، وشعوری نحوه
يشبه شعور الأب نحو ابنه .

صمتت في حزن مشابه ، وطال صمتها لحظات ، قبل أن
تغتصب هي ابتسامة ، وتقول :

— هل تعلم أن (مشيرة محفوظ) قد رفضت رفضًا باتًا
إذاعة البيان ، الذي يطالب المواطنين بالابلاغ عنك ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— عجبًا !! .. ألا تشعرين بالغيرة لذلك ؟

ضحكت ، وهي تقول :

— نعم ، خاصة بعدما أبلغني به (رمزي) منذ لحظات .

جذبت عبارتها انتباهه ، فالتفت إليها يسألها في اهتمام :

— وما الذي أبلغك به (رمزي) ؟

تألقت ابتسامة خبيثة على شفتيها ، وفي عينيها ، وهي

تقول :

— خمن !! ..

ثم أطلقت ضحكة مرحة رقيقة ..

★ ★ ★

ابتسمت (مشيرة محفوظ) ، صحفية أبناء القيدو



واقتربت منه زوجته (سلوی) ، ووضعت كفها على كتفه ، وهي
تغمغم في رقة وحنان وحزن :
— لقد انتهى الأمر يا (نور) .

الشهيرة ، وهى تستقبل (رمزى) ، وصافحته فى حرارة ،
وهى تقول :

— مرحبًا بك فى (أنباء القيدىو) يا (رمزى) ، كيف
حالك ؟ .. وكيف حال (نور) بعد إثبات براءته ؟
ابتسم (رمزى) وهو يقول :

— الجميع فى خير حال يا (مشيرة) ، ويلفونك شكرهم
وامتنانهم .

رفعت حاجبها فى دهشة ، وهى تقول :

— شكرهم وامتنانهم !؟

ثم ضحكت فى رقة ، وهى تستطرد :

— وماذا فعلت لأستحق ذلك ؟

أدهشتها تلك النظرة الحانية ، التى ارتسمت فى عينيه ، وهو
يقول :

— ألا يكفيك أنك قد رفضت إدانته (نور) منذ البداية !؟

شعرت بدماء الخجل تتصاعد إلى وجنتيها ، فاسترسلت
تقول :

— إننى لم أفعل سوى ما أومن به يا (رمزى) .. إننى
لا أفعل دائمًا إلا ما أومن به .

مرة أخرى أدهشتها نظرتة ، ودفعت دماء الخجل إلى
وجنتيها ، وهو يهمس فى حنان :

— هذا هو أروع ما فىك يا (مشيرة) !!

خفت لموتها حتى بات أقرب إلى الهمس ، وهى تسأله :

— ماذا تريد بالضبط يا (رمزى) ؟

نهض من مقعده ، وتقدم نحوها ، وتطلع إلى عينيها مباشرة ،

على نحو بعث فى جسدها رجفة قوية ، وهو يقول :

— (مشيرة) .. لقد حرصت منذ تعارفنا على أن أخفى

عنك حقيقة مشاعرى ، ولكننى ، وبعد موقفك من اتهام

(نور) ، قررت أن أصارحك بالأمر .

وامتلأ صوته بحنان وحب جارفين ، وهو يهمس :

— هل تقبليننى زوجًا يا (مشيرة) ؟

تصاعدت دماء الخجل هذه المرة لتغمر وجهها كله ،

وشعرت بقلبيها يخفق فى قوة ، وهى تهمس :

— هل يعنى هذا أن أنضم لفريق (نور) ؟

ابتسم وهو يهمس فى حُب :

— بل إلى وحدى ..

صمت ، وصمت ، وكان صمتهما أبلغ من أى حديث ..

وكان هذا هو التغيير الوحيد الذي حدث في حياة (نور)
وفريقه ، بعد انتهاء عملية (العدو الخفي) ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

باسم

www.dvd4arab.com

رقم الإيداع ٣٢١٥